IMPRIMATUR

† Fr. H. V. ALTMAYER

Archiep. Babylon.

مقدّمة المعرّب

لقد تحققت ايّها القارئ العزيز من مطالعتك المجلّدات الاولى ان غاية هذه المؤلفات الجليلة ما هي الّا ملاشاة الانسان الحيواني فينا ومقاومة اهوائهِ المنحرفة المكروهة الامر الذي بهِ نقوم كل قداسة وعليهِ يتوقّف كلّ كمال كما علمت ذلك من كتاب الحرب الروحيّة (الفصل الاوّل) ولهذا فاعلم انك لا تقدر ان تُفرط بتذكّرك هذه الحقيقة ولا ان تتجاوز الحدّ في انجازك تعاليمها بالعمل ما لم تُعنَ باصلاح نقائصك *

كثيرون يقصّرون في تهذيب بواطنهم ويبالغون في الرياضات الخارجيّة وافعال التقوى التي لا نجدي عاملها نفعاً ان لم تساعدهُ على ادراك القداسة. ومن هنا هذا المثل السائر الذي كثيراً ما يُرمى

بنياله اهلُ التُقى وهو « دُس ذَنَبَهُ تَرَ عجبهُ » . لانّ من يكتفي باعمال التقوى الخارجية ويهمل اصلاح باطنهُ من الرذائل والشوائب لا يلبث إلّا أن تظهر للناس عيوبهُ ونقائصهُ لأوّل فرصة اذ ان الدواعي لذلك اكثر من ان تُحصى . فيكون لهم بها سبب عثرة وربما حملهم على التنديد بالعبادات والتقوى هذا فضلاً عما يلحقهُ من الفشل والضعف مّما يتدهور معهُ غالبًا في لجّة اليأس من الخلاص والكمال *

فاذا اردت ايّها العزيز ان تدرك حقيقة التقوى والعبادة وتكون كاملاً قدّيسًا امام الله وملائكتهِ وقدّيسيهِ فعليك ان تتقصّى في كلّ حين معرفة اهوائك الذميمة واميالك الحيوانيّة لتقطع دابرها بهُدي الحقائق الازليّة المحتوية في الكتب التقويّة الى ان توجد في حالة لا تعود تشعر معها بادنى

انعطافٍ الى شيءٍ من الاشيآء الزمنيّة الفانية او تعلّق بخليقة من الخلائق الارضيّة الحقيرة وهكذا يصبح الله لديك كُلاًّ في الكلّ · هذا هو الكمال الحقيقي وهذهِ هي القداسة الصادقة الخالصة *

ولكن هل من الممكن يا تُرى ان يبلغ الانسان وهو مقيَّد في وثاق هذا الجسد المارد الى هذا الكمال ويدرك هذهِ القداسة السامية ؟ لا اعلم . بيد انّي اعلم يقيناً انَّهُ ينبغي لنا نحن معشر الاتقيآء خاصةً ان نجعل الكمال والقداسة غاية اشواقنا ورغباتنا ونبذل النفس والنفيس في اكتسابهما . واذا قدرنا في حياتنا كلها ان ندرك ولو بعض الغاية منهما فذا خيرٌ لنا من ان ندع الاهتمام بربحهما لما في ذلك من العناء والمشقّات التي وان كثرت وتعاظمت لا تفوق مشقّات من يدع نفسهُ تجري على طبعها وخُلقها ويكتفي ببعض افعال ورياضاتٍ

تقويّة خارجيّة لا غير. فان مثل هذا الانسان قد يُلاقي في دنياه شدائد تفوق بثقلها على اعظم الاحمال ويُعدّ لهُ في آخرتهِ عذابات عسرة الاحتمال *

واعلم ايها الحبيب انّ عثراتنا وزلاّتنا ولو تعدّدت في النهار لا تمنعنا من بلوغ غاية اشواقنا المقدّسة اذا نهضنا منها للحال نادمين واستأنفنا مسيرنا واثقين بنعمة الله ورحمتهِ في كلّ حين بل اننا كلما اصلحنا منها زلّةً او هفوة انتبهنا لها خطونا خطوةً جديدة في طريق الكمال والقداسة. اذ انّ اصلاح الهفوة بعد الانتباه لها هو الواسطة العظمى للتقدّم في سبيل الصلاح. فكلّما وجدت نفسك مصمّمًا على ادراك القداسة وساعيًا في طلبها فانت ناجح بل انت من الراجحين الكاسبين وان كنت لا تشعر حينئذٍ بنجاحك هذا لكثرة زلاّتك العارضة التي كثيرًا ما يسمح بها ربُّك الحكيم العليمُ ليستر

فيك قداسةً لو عرفتها لاوشكت ان تخسرها بكبريائك *

ولمّا كانت الرذائل والأهوآء التي يجب علينا ان نقاومها ونميتها فينا محصورة في ثلاث محبة المال. ومحبّة العُلَى. ومحبة الجسد فالموقّر توما الكمبيسي يقدّم لنا في الكتيّب الاوّل من هذا المجلَّد الرابع ثلاث فضائل تناقض هذهِ الرذائل الثلاث وهي الفقر والتواضع والصبر. الا اننا تعميمًا للفائدة ولكي نزيد الكتاب وضوحًا وجلآءً راينا ان نتصرّف في وضع بعض اعداده فجعلنا خلاصة الاعداد الاولى الثلاثة من مقالة الفقر بمثابة توطئة للمقالة نفسها وكذا اضفنا جزءًا من العدد الاوّل من مقالة الفقر ايضاً الى العدد الاوّل من مقالة الصبر لمناسبتهِ لها وقد اشرنا الى مثل ذلك في محلّهِ *

ولما كان المؤلف القدّيس لكثرة علمهِ باحتياج

الانسان الى تلك الفضائل الثلاث لا يزال ف
بقيّة مقالاته يعيد ذكرها ويقدّم لنا نصائح جليـ
تحثّنا على ممارستها ورياضات حميدة تساعدنا عـ
التخرّج فيها بيد انهُ يوجّه كلامهُ هناك الى اخو
الرهبان خاصّةً . راينا ايضاً ان نحذف من هذ
المجلّد ومن التابع لهُ كلّ ما يختصّ بصنف مـ
الرهبان دون غيرهم لكي يعمّا بفوائدهما جمـ
المسيحيّين وقد عوّضنا عمّا حذفناهُ من هذا المجلّ
ببعض فصول جمعناها من المجلّد الخامس لما ـ
من كبير علاقة مع التي اضفناها اليها وسنعوّض
عمّا اخذناهُ من المجلّد الخامس بما نراهُ مناسـ
في محلّهِ *

فاليكِ ايتها النفس التقيّة مجلّدًا رابعًا مـ
منتخبات تحاكي روضةً جمعت فيها اشهى الزهو
واطيب العطور او هي جنّة للختن السماوي يدعـ

اليها عرائسهُ الحكيمات ليحصدن فيها مرَّهُ مع أطيابهِ ويأكلن شهدهُ مع عسلهِ ويشربن خمرهُ مع لبنهِ . فخذي كُلي يا خليلة المسيح واشربي واسكري يا حبيبة يسوع (نشيد ٥) . دونك اثمارًا يانعةً وفواكه ناضجة فاقطفي منها ما يبرّد غليل عطشك ويشفي حُرقة ظمإك الى البرّ والقداسة . واعلمي وتحققي انّك ان اكثرت من مطالعة هذهِ المنتخبات النفيسة وعملت بموجب تعاليمها ومشوراتها الجليلة فبواسطة النعم السماويّة التي تأهبك لقبولها . تصبحين لا محالة في مدّة وجيزة عروسةً شهيّة كاملة جميلة في عيني ختنك الالهي الذي يقبلك في اخاديره السماويّة مع زمرة عرائسهِ البهيّة « فيرويك من دَسَم بيتهِ ومن وادي لذّاتهِ يسقيك . لان ينبوع الحيوة عندك » (مز ٣٥ : ٩ و ١٠)*

LES

TROIS TABERNACLES

كتاب

المظال الثلاث في مقاومة الذات

وهو

الكتاب الثامن

من منتخبات الموقّر توما الكنبيسيّ

توطئة

جآء في الانجيل الطاهر انّ ربّنا يسوع صعد
ذات يوم الى جبلٍ عال وتجلّى هناك واذا موسى
وايليا ظهرا لهُ . فقال بطرس ليسوع : ان شئت
نصنع هنا ثلاث مظالّ لك واحدة ولموسى واحدة
ولايليّا واحدة (متى ١٧)*

فكلّ مظلّة من هذه المظال الثلاث تشير الى
احدى الفضائل التي تلألأت اكثر من غيرها في
يسوع وموسى وايليّا . فمظلّة يسوع تشير الى تواضعهِ
العجيب ومظلّة موسى تشير الى صبرهِ الجميل ومظلّة
ايليا تشير الى فقرهِ الغريب *

ما احسن وما اشهى السكنى تحت هذهِ المظال .
ليتني اتخذ لي مظلّة صغيرة بين هذه المظالــــ
النفيسة وادعو اليها يسوع ربي لكي يعلّمني فيها هذهِ

الفضائل السامية .

تكلّم يا رب فانّ عبدك يسمع . أُرني برحمتك
الغير المتناهية قداسة الفقر ونعمة التواضع وقوّة
الصبر *

ان كنت معنا فمن ذا الذي يقوم ضدّنا .
اني اتبعك يا رب الى حيث تمضي ان اردت ان
ترشدني في الطريق . « اني ولو مشيت في وادي
ظلال الموت لا اخاف سوءًا لانّك معي »
(مز ٢٣ : ٤) *

ومع ذلك فاني اعترف للربّ باثمي ولم اكتم
لهُ خطيتي عاني انال من هذا الطبيب الصالح
مرهم التعزية *

المقالة الاولى

في الفقر

١ : انظر يا رب الى ضعفي ومسكنتي . أمل اذنيك اليّ فاطلعك على سوء حالي . ها اني اطلب الراحة وانت تفرض عليّ الشغل . اني اتوق الى الرفعة والشرف وانت تقدم لي احقر الاشياء . اني التمس الغنى والتنعمات وانت تشير عليّ بالفقر والفاقة *

٢ : اهذه هي حقًّا اقاويلك ومشوراتك يا ربّ فان كان الامر كذلك فكيف اغصبُ ذاتي لكي اعمل بموجبها *

قال الرب : احببني فلا تعود تشعر في باطنك بقلق واضطراب . ان شدائد الفقر باسرها تبيد بسهولة بنار محبتي . ومن يحبني يسرّه ان

يشاركني في فقري ومسكنتي . لانّ احمال المحبّ
خفيفة ومن يقتات بخبز المحبّة لا يستثقل شغلاً *
يا ما احسن اقوالك يا ربّ . فليكن لي
كقولك . انك قد اعطيتني المشورة فاعطني ايض
معونتك . حوّل اللهم كلَّ ما يستصعبهُ جسدي
الى حلاوة وعذوبة وخفّف جميع اثقالي *
٣ : « ليبتهج جسي بالاله الحي . وانتهلل روحي
بالله مخلّصي . ما اصلح الله لاسرائيل . لانقياء القلب
احبّك يا رب قوّتي . الرب رُكني وحصني ومنجيّ
(مز ٨٣ : ٢ . لو ١ : ٤٧ . مز ٧٢ : ١ . مز ١٧ : ١)
اني ساحبٌ ايضاً الفقر المقدّس والتواضع والصبر
اقتفاءً باثرك واثر قدّيسيك . فلتكن فضيلة الفقر
من الآن فصاعدًا ثروتي والتواضع مجدي والصبر
راحتي *
٤ : ليشتغل بالي بذلك ابدًا ولتكن مسرّ

فيما يطلبهُ الروح لا غير « لانّ الجسد لا يغني شيئًا » (يوحنا ٦ : ٦٤) . ليكن نعيمي في تلك الفضائل كنعيمي في جميع الكنوز ولا تستميلني اليها طرق الاغنياء المتجرفين العائشين في الاسراف . لان هؤلاء سوف يسقطون في يومهم وآخرتهم تكون في خزي . اما انا فسأفرح بالرب وتتهلل روحي بيسوع الهي الذي صار لي مثالاً في الفضائل الفقر والتواضع والصبر *

٥ : قال الرب : اني اراك راغبًا في تعزية اقوالي وفي التفقه في هذه الثلاث الفضائل ولهذا اريد ان اعمل بطيبة ما تطالبهُ . ولنبتدئنّ بفضيلة الفقر التي تبين لي انها مبدأهنّ . فيا ليتك ترسم في قلبك هذه الفضيلة المغبوطة التي اعدّها من اقدس الفضائل وتبالغ في حفظها *

اني سمعتُك تتنهّد ورايتُك تغصّ بفقرك فساءني

ذلك ولم استحسن ما سمعتهُ منك *

اني قد اخترت فضيلة الفقر وخزنت عليها
كخزني على كنوزي . قُم اذهب مع الرعاة الى بيت
لحم وشاهد الكلمة المتجسّد والموحى لك . تفرّس في
الفقر هل ينقصهُ شيء هنالك *

انظر الى فقري فلا ريب ان فقرك يبين
زهيدًا جدًّا بل كلاشيء بازائهِ . فشتّان بين فقرك
وفقري . انني لم أَخجل مع كثرة غناي الذي لا
يعوزني معهُ شيء من اكون فقيرًا منفيًّا في هذ
العالم انما ذلك كلّهُ لاجلك . اما انت الفقير العريان
الذي لم ياتِ الى هذا العالم بشيء فانك لا تعتبر
هذه الاعتبارات . فامنع عنك التشكّيات وحسبك
تسليةً ان تُمعن النظر في فقري *

لا ينبغي لك ان تتنعّم في هذا العالم بكثرة
المال والافراح لكن في العالم الآتي . فهنالك

« ياكل المساكين ويشبعون » هنالك يسمّوني كلُّ من طلبني في الفقر المقدّس *

انّ خدّام الله لا يفرحون بالخيرات الحاضرة ولا يتشبهون ببني الدهر في زهوهم وأبهتهم لكنهم يحتقرون كلّ افراح العالم ويطلبون افراح فقري. لانّ فقري وتواضعي يفعمان قلوب الذين يحتقرون غنى الدُنيا فرحاً *

لعلّك تتمنّى ان تلبس البرفير والارجوان مع الغني وتجلس كلّ يوم على مائدة فاخرة . لكن احترز ان يصيبك نظيرهُ عذاب الجحيم الابدي لان حكمي هو هذا : « انّ اعمالهم تتبعهم » *

٦ : لابدّ لك من احد امرين : امّا ان تحتمل الفقر بصبر الى حين . وامّا ان تسقط من عداد فقرائي . اني أريتُ الفقراء طريقاً واضحةً وفتحت بابي للحزانى قارعيهِ . ورفعت من امام المتواضعين

حِجْرَ ملكوتي وجعلتهُ امام الاغنياءَ *

ان كنت تريد ان ترى الداخلين الى ملكوتي فافتح عينيك وانظر فانهُ * مات المسكين فاخذتهُ الملائكة الى حضن ابراهيم * (لو١٦ : ٢٢)

فاسالك أَشهيّةٌ هذه الرؤية *

نعم انها لَشهيّة وتوقظ جميع اشواقي ولكن كيف استطاع ذاك الفقير ان يصعد الى هنالك ومن يقدر ان يتبعهُ *

يا بُنيّ اذكر ان هذا لعازر المسكين كان كثير القروح وقد اشتدّت عليهِ البلايا وكان مطروحاً على باب الغني يتضوّر جوعاً وعطشاً . وقد احتمل كثيراً لاجل اسمي فلهذا استحق الدخول الى ملكوتي *

فاقتدِ بهِ إن شئتَ . لاني قد سُررتُ بفقرهِ وصبرهِ ولذا كانت نفسهُ شهيّة لديَّ . فاذهب

واعمل كذلك *

الحقّ اقول لك : انّك إن لم تتب وتصر مثل لعازر او كأحد فقرائي لا تقبلك الملائكة في السماء. انّ ملكوتي لا يدخلهُ احدٌ إن لم يكن طاهرًا. ومن كان غير طاهر يطهّرهُ ابي في بِركة الفقر ويغسلهُ بماء التجربة واذا طهُر على هذا النوع يدخل مقرّ القدّيسين عقيب موتهِ *

٧ : أَفهمت هذه الحقائق كلّها ؟

نعم يا سيّد *

والان ماذا اقول . لقد أتت الساعة وهي الآن حاضرة فيها لا يعودُ كثيرون يذوقون لذّة هذا التعليم الواهب الخلاص . بل كلّ واحد يتمنّى لو انهُ يحقّق آمالهُ فيما يظنهُ جالبًا لهُ الفرح والراحة *

انك إن كنت ترذل فقر يسوع المسيح فانت

لانعرفهُ تعالى جيدًا لذلك فاسمعني اقول لك ايضا *

انها لحبيبتي فضيلة الفقر التي احببتها في الغاية وعانقتها معانقةً شديدة واكثرتُ من وصيتي بها لاحبائي اما الآن فانها قد اضحت غريبة لكثيرين بحيث انها لا تكاد تجد مكانا تستقرّ فيه واذا ارادت بعض الاحيان ان تحلّ عند البعض فانهم عند مشاهدتهم محبّتها لأحقر الاشياء واغلظها لا غير يستولي عليهم نوعٌ من الهلع لرغبتهم في لذيذ الاطعمة فلا يلبثون ان يقولوا لها ابتعدي عنّا اننا لا نريد ان نسلك في طريق تعاليمك لانّكِ غير ملائمة لأهوائنا . ان طُرقك صعبة وسُبلكِ مرّة في الغاية فلماذا أتيتِ الينا . انّكِ اتيتِ لتقتلينا نحن ومواشينا يريدون بذلك جسدهم *

٨ : فهذا ما يقولهُ هؤلآء الناس عن فضيلة

الفقر وبهذا الكلام يفرّفونها . وانا اعلم انّها لم تقصدهم بنيّة سوء انما بامر الله قد دنت اليهم لتشفي جروح خطاياهم وتغذّي فضائلهم *

انّ داود النبي كان يفتكر بخلاف ذلك اذ قال : « قد هيأتَ قدّامي مائدةً مقابل الذين يخاصموني (مز ٢٢ : ٥) قد هيّاتها بجودتك للفقير يا الله » (مز ٦٧ : ١١) وزاد قائلاً في فرحهِ : « امّا انا فمسكين وفقير (مز ٢٩ : ١٨) الفقيرُ والبائس يسبّحان اسمك » (مز ٧٣ : ٢١) اما الرب فانهُ يقول لفضيلة الفقر حبيبتهِ : لا يسيئَنّكِ كلام هؤلاء فانهم ايّاي يرفضون لا اياكِ اذ انّ من يحتقركِ يحتقرني ومن يقبلكِ يقبلني *

انني لاعلم ان الجميع لا يحبّونك إن لم اقُل يطردونكِ غالبا ويشتمونك . وانّهم يفعلون كلّ ذلك بكِ لانّهم لا يعرفونكِ ويجهلون قدرك قبلي .

فلا تخافيهم . اني انا الذي اخترتكِ . وقد ابتعتُك
واعتبرتكِ اثمن من جميع الكنوز وأعذب من
جميع الملذّات . ها اني الذي طلبتُكِ منذ صباي
ولم اهجركِ حتى في ايّام شيخوختي . بل ولا في
اواخر شيخوختي ايضاً *

٩ : يا جميع عابري الطريق قفوا وانظروا
هل من فقر كفقري . افترن هنيهة « يا بنات
صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجته
بهِ امّهُ » (نشيد ٣ : ١١) انظرن كيف وضعته
في مذود وهو المالك منذ الازل في حضن
الآب . وكيف لفّتهُ بقمط وهو الضابط بيمينه
السماء والارض *

انظرن الى قمطي والى البسة طفوليتي واذ
كنتنّ قد رأيتنّ احداً شبيهاً بي فهلمّ انكرنني مع
فقري . ها انّ العلامة التي اريتكنّها وبشّرت بها

الملائكة قد ظهرت على الارض وقد صنعتها مريم العذراء كما رأيتنّ *

فيا ايها الجهلاء حتى متى تكرهون الفقر وقد وُلد لكم صبيٌّ وطفلاً أُعطيتم *

انّ هذا الكلام كلهُ هذيان في أعين الاغنياء وعارٌ في اعين المتكبّرين بيد انّهُ حكمةٌ عظيمةٌ ومجد رفيع لديّ ولدى مختاريّ *

اعتبروا ايضاً بقيّة اعمال حياتي . فاني صمتُ اربعين يوماً واربعين ليلةً ولم آكل شيئاً غير اني جعتُ في آخر الامر . فهذا ما صنعتهُ انا . وهذا هو الصوم الذي صمتهُ وتحمّلتهُ الى النهاية . فمن ذا يقدر ان يكافئني على هذا الاجتهاد ومن يستطيع ان يتبعني ولو عن بعدٍ . فكلّ من يقدر على ذلك يكون حبيبي *

ثم لمّا أعييتُ من تعب الطريق جلست على بئر

وطلبتُ ماءً من امرأة سامرية قائلاً لها : « اعطيني لأشرب » . قد طلبتُ الماءَ لأشرب انا الذي أُعطي الخمر للناس وقد حوّلتُ قبل ايّام الماءَ خمراً. وقد كان تلاميذي قد ذهبوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً فعند عودتهم قالوا لي : « يا معلّم كُل » فقدّموا لي الطعام تقديمهم ايّاه لفقيرٍ يتضوّر جوعاً كلُّ ذلك لأُظهر فقري للعيان فيعرف الناس الفاقة العُظمى التي صرتُ اليها لاجل خلاصهم *

فالآن إِن كنتم تحبّوني فاتبعوني فأُريكم ايضاً اشياءَ اعظم . اني علّقت على الصليب عرياناً فقيراً ولم املك في حياتي كلّها شيئاً يُذكر وهاءنذا الان مسمّر على خشبة العار وحيداً عرياناً مجرّداً من كلّ شيءٍ . فايّ انسان يفوقني فقراً انا الذي لم اجد احداً يساعدني *

فينبغي لكم يا بني البشر ان ترسموا هذه الاعمال

في قلوبكم وتمعنوا فيها النظر لانها جديرة بان تضرم فيكم نار حُبّ الفقر المقدّس *

ألا انظري يا فضيلة الفقر حبيبتي باسيّ اقوال وامثال رفعتك . وبمن اشبهك ايضاً يا خليلتي . انك تشبهين أُولئك الناس الذين يفرحون بالروح القدس ويقولون : « كأنّا فقراء ونحنُ نغني كثيرين . كأنّا لا شيء لنا ونحن نملك كلّ شيء » (٢ قور ٦ : ١٠) نحن ضعفاء ومهانون من اجل المسيح (١ قور ٤ : ١٠) نعدّ كلّ الاشياء اقذارًا لنربح المسيح » (فيلب ٣ : ٨) . فيا لها مشابهة محكمة قلّ من يعمل بموجبها *

١٠ : اني اتذكّر الان فرنسيس عبدك المسكين الذي احبّ الفقر حبًّا شديدًا . اجل ان هذا العبد الامين في الغاية قد احبّ كثيرًا فضيلة الفقر بحيث انهُ كان يدعوها عند فوران

قلبهِ فرينتهُ . وقد أحبَّها هكذا الى نهاية عمرهِ *

واذا فهو اليوم ممتلئٌ فرحاً في ملكوتي لانهُ أحبَّ فضيلة الفقر في هذا العالم محبةً مقدسة فلم يُحرَم فرحها . بل كان يبادر اليها ويسلّم عليها باحترام ومودّة بهذه الاقوال : « مرحباً بكِنَّ ايتها الفضائل الفقر والعفّة والطاعة سيّداتي » *

فهذا ما كان في خاطري ان اقولهُ عن القدّيس فرنسيس المتواضع (١١ و ١٢) وماذا اقول عن فقر مار مارتينوس القدّيس الفضيل الذي استحقّ لعظم حبهِ لفضيلة الفقر ان يُدعى الصغير والمسكين *

واعلم يا هذا ان فرح القدّيسين قائم بهذه الفضيلة . فلا تستقبح اذن عيشهم القشف الشظف . وقد جاءَ في مديح مار مارتينوس انَّ ابراهيم قبلهُ بفرح في حضنهِ والملائكة بشّت بقدومهِ ودخل

السماء غنيًّا بالخيرات الروحيّة مع انهُ كان يُدعى
بقي دنياه فقيرًا مسكينًا *

أجل انّ فقرهُ كان شاقًّا وذلّهُ صعبًا بيد انّ
دخولهُ الى السمآء اضحى عذبًا وسارًّا للغاية *

واليك قدّيسًا آخر أحبّ فضيلة الفقر حبًّا
شديدًا الا وهو القدّيس مار اوغسطينوس ملفان
الكنيسة وحبرها الجليل . فانّ هذا القدّيس المجيد
لم يعمل لهُ وصيّةً أخيرة لعدم امتلاكهِ شيئًا يكون
مادّةً للوصيّة *

ويوجد قدّيسون آخرون كثيرو العدد قد
أحبّوا الفقر غاية المحبّة ولو ذكرتُ لك اسماءهم
لطال بنا الكلام *

١٢ : ولي كلامٌ كثير واحكام عديدة في
الاغنيآء بيد انهم لا يسمعونني . فاليكم ايها الفقراء
اوجّه كلامي فاسمعوني انتم لانكم من نعاجي *

« لا تخف ايها القطيع الصغير لانهُ قد حسُن لدى ابيكم ان يعطيكم الملكوت » (لو ١٢ : ٣٢) . حقاً انكم تعيشون الان عيشاً شظفاً . بيد انكم سوف تقبلون خيرات جزيلة إن احببتموني في فقري *

انكم ان احببتموني سوف تهللون فرحاً لاني اتيتُ الى هذا العالم لأُبشّر المساكين . انّي لمّا كنتُ في العالم احببتُ الفقر وأَبغضتُ الغنى لانّ الغنى ليس من ابي لكنهُ من العالم *

انّ من يكون غنياً في هذا العالم يسقط في فخاخ الشيطان وفي تقلّبات اهوآء القلب ويتعسّر عليهِ الدخول الى ملكوت السماوات *

« انّ مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدّامي يحاربون عني » (يوحنا ١٨ : ٣٦) فترون ان مملكتي ليست من

هنا بل اني صرت عبدًا وخادمًا للجميع اذ اني لم آتِ لأُخدَم لكن لأخدِم وابذل ذاتي فداءً عن كثيرين *

فانصتوا يا فقرائي الى اقوالي بانتباه وتعلموا مني فاني صرتُ فقيرًا قبلكم . لتنشرح صدوركم بفقركم كما ينشرح صدر الغني بغناه . افرحوا وتهللوا فانّ اجركم عظيم في السماء لا تقلق قلوبكم ولا تجزع فاني انا الذي اكلمكم *

اعملوا بشجاعة وامتلئوا قوّة انتم جميعًا الذين عزمتم على ان تتصاحبوا مع فضيلة الفقر المقدّسة اثبتوا فيها فاكون معكم . لا تبكوا ولا تحزنوا لانكم محرومون من الغني بل افرحوا في الربّ الهكم لانكم احتقرتموهُ وصرتم فقراء يسوع المسيح *

١٤ : فيا ايّها الفقر المقدّس الحقيق بالثناء بايّ مديح اعظّمك وأُبجّلك وكيف اسمّيك وبايّ

وسيلة أُوصي بك اصدقائي *

فيا ما أعجب المثال الذي أعطيته لجميع
اخوتي الموجودين في الفاقة من اجلي اذ صرتُ ا
بذاتي فقيرًا ومحتاجًا لاجلهم . غير أنّي أُشفق م
ذلك من ان يعاملك كثيرون معاملة الغريب
فهلمّ ارسلك الى اعزّ خادماتي واكثرهنّ شهرةً *
امكث عندها مدّةً من الزمان شان منفي
حتّى ياتي زمان افتقادك وفي ذلك اليوم تكون
مجيدًا جليلاً ولا تعود تُدعى الباكي لكن تُدعى
حبيبي وتكون في يَدَي الملك مثل اكليل مجيد
وتاج بهي وتلمع كالشمس في ملكوت ابي وتكون
في عينيّ حسينًا كالقمر *

ولكن ينبغي لك ان تحتمل كثيرًا لاجل اسمي
وتدخل ملكوت السماوات بشدائد كثيرة . وايّاك
والفشل من اجل ذلك . « لانّي انا معك في

ـحزن أنقذك وأمجّدك » (مز ٩٠ : ١٥) *

١٥ : فسر اذن بحسب مشورتي الى المكان
الذي أريكهُ . واني اعلم انّ سيدة ذلك المكان
ستقبلك باسي وتحسن مثواك . اني متيقن ذلك
لانّ واحدًا من اجلّ خدّامي قال لي انّ سيدتها
المقدسة توافقك في كلّ شيء وبدونك لا تقدر
ان تكون كاملة ولا ان تحيا وحدها زمنًا مستطيلاً *
فقومي يا فضيلة الفقر حبيبتي العزيزة وهلمي *
— الى اين يا رب ومن يريني الطريق *
— انكِ لتسلكين فيَّ فتبلغين عاجلاً منزلها
لانني . « انا هو الطريق »
— وما هو يا رب اسم هذه الخادمة الجزيلة
القداسة التي اسمعك تطنب في مديحها . أجبني يا
رب . وحتى عرفتُ اسمها نهضت وبادرت اليها .
فلما أنتهي اليها أحييها بالسلام واقول لها : افرحي

وتعالَي يا بنت صهيون وابنة العلي المباركة لا
الربّ قد ارسلني اليكِ *

١٦ : لماذا تسأليني عن اسمها . انهُ عظيمٌ
عيني وكريمٌ للغاية في أعين خدّامي الا وه
التواضع . انّ الملائكة والبشر يوقّرون قداسة هذ
الفضيلة وقدرتها وإيّاها عنى من قال عنكِ : ا
الحكماء يجعلون دائمًا فضيلة الفقر حارسًا للتواضع

فهذه هي الخليلة التي كلّمتكِ عنها . هذه هي
الدائمة الجمال . هذه هي حبيبتي على الدوام وق
احببتها نظيركِ منذ البدء . فاحسني الاحتفا
بهذه فضيلة التواضع التي احبّها قبل كلّ شيء
قدّيسيّ *

اني ما اريد ان تتركيها لانّكِ اذا تفكّرتِ ف
تجدين احدًا في العالم يشابهكِ اكثر منها ولا تقدرين
ان تساكني احدًا غيرها مدّة طويلة براحةٍ وسكينة

انّ الجميع يتركونكِ ويحتقرونكِ غير انّ التواضع الحقيقي وحدهُ يقبلكِ في منزلهِ . انكما اختان شقيقتان فينبغي لكما اذن ان تسكنا معاً *

ان الفقر الذي يجهل التواضع ويحتقرهُ لا يطوّب بل لا يسرّ الله بتواضعٍ يحتقر الفقر فليكن لكما قلبٌ واحدٌ ونفسٌ واحدة في الله . لا تستخصا بشيءٍ بل ليكن كلّ شيءٍ مشاعاً بينكما الطعام والثياب وسائر احتياجات الجسد *

انّ ثيابكِ كثيراً ما تلوح لك خشنة رثّة غير انَّ التواضع لا يحتقرك من اجل ذلك . يعرف ان يميّز من خلال ظاهرك باطنكِ البهيّ في عينيّ ان كنت لا تخجلين من حالتك *

ان الخجل من خشونة اللباس كبرياءٌ خفيّة ومن طلب الافتخار بتلك الخشونة كان لباسهُ كبرياءَ ...

ثم انّ مائدتكِ لا يوضع فوقها من الاطع
سوى ما كان ضروريّاً وبسيطاً في الغاية . غي
ان التواضع يبتهج بالجلوس على مائدة كذا م
اجل اسمي وهو قائلٌ : « اني اعرف ان اعيش
الترفه واحتمل الفاقة . وفي كلّ وقت ومكان ارا
ممتلئاً قوّةً . وانا اقوى على كلّ شيء بالمسيح الذ
يقوّيني » . (فيلب ٤ : ١٢) *

١٧ : ولكن اعلمي عند قرآءتك هذا الكلا
انّ فضيلة الفقر نعرف ان نرفق بالضعف
والمرضى . ونقدّم شدّاتها وصعوباتها للاقوياء لك
تسهّل لهم النمو في الفضيلة . ولذا تتفرّغ غالباً للعم
والتعب ولا ناكل خبزها في البطالة لكي تكم
فيها هذه اقوال الرسول وغير اقوال تشبهها
« انّي لم اثقل على احدٍ لكنّي اشتغل الليل والنه
ولم آكل خبز البطالة » *

بيد ان فضيلة التواضع تتشكّى هي والفقر
ن البعض فتقول : « انّ الكبرياء قد استولت
ليهم لانّهم لم يشاركوا الناس في اتعابهم ولم
خضعوا مثلهم للنكبات » . ولمّا تشاهد اناساً قياماً
ي الاسواق بطالين تبكّتهم بهذه الاقوال : « ما
الكم واقفين ههنا النهار كلّهُ بطالين . امضوا
انتم ايضاً الى كرمي وانا اعطيكم ما يحقّ لكم »
متى : ٢٠) *

انّ فضيلة الفقر تعتبر مَهْد راحتها بمثابة فراش
ردي فقد تضطجع على الحضيض او على التبن او
على حصير . وكذلك التواضع فانّهُ لا ينام على
وسادة ناعمة ولا على فراشٍ وثير بل يرفض كلّ
ما هو من العالم رفضاً تامّاً . وقد قرأ ان يوحنا
كان لابساً وبر الابل وان الذين يلبسون
الناعمات هم في قصور الملوك *

وقد سمع عنّي ما نصّه : « انّ للثعالب
اوجرة ولطيور السماء اوكارًا وامّا ابن الانسان
فليس لهُ موضع يسند اليهِ راسهُ » (متى ٨ : ٢٠)
١٨ : انّ فضيلة الفقر لا تملك عبيدًا ولا إماء
ولا ارضًا ولا قصرًا ولا شيئًا مما ينال الانسان
منهُ جاهًا وراحةً في دنياه والّا فلا تكون فضيلة
وكذلك التواضع فانهُ لا يملك شيئًا من تلك
الاشياء ولا يرغب فيها . لكنّهُ يطلب الاقتداء بابن
الله فيقول : « ما أتيت لأُخدَم لكن لأَخدم . اني
عبدُ يسوع فلا يجوز لي التآمر . وأجمل عنوان
لشرفي ان اكون اسير يسوع المسيح . وقد أقسمت
ان لا أخدم غير خالق جميع الاشياء فكيف يسوغ
لي التفرّغ ولو ساعةً من الزمان للاهتمام بتلك
الخيرات الباطلة العابرة . فليبتعد عنّي وعن منزلي
كلّ الذين يرغبون في شيءٍ غير الفقر والسذاجة

لقد رايتِ يا فضيلة الفقر حبيبتي كيف انَّ
ضيلة التواضع الشريفة (ان احبّت ان يُعطى لها
ذا النعت) تطلبكِ وحدها وتقبلكِ بفرح . امّا
يرُها فلا يعرفكِ البتّة . وستبقين على ظنّي
جهولة زمناً طويلاً . فلا تقلقي من جرّآء ذلك بل
ذكري اني انا ايضاً كنت مجهولاً لدى الاكثرين .
ان كانوا قد طردوني فسوف يطردونكِ وان
كانوا قد ابغضوني فسوف يبغضونكِ ايضاً *

تذكّري قولي هذا : ما من عبدٍ إعظم من
يدِهِ . واجعلي قوّتكِ وتسليتك في التواضع
الصبر *

اجابت فضيلة الفقر بلسان افضل الفقيرات
قالت للربّ : انا امتك فليكن لي كقولك . انك
د تكلّمت مع أمتك فمن اين لي هذا ان اجد
عمةً كذا في عينيك . فيا ما اكثرك رافةً ورحمةً .

انّك تعرف الغريبة وتبارك الارملة ولا تترك
الحزينة *

١٩ : انّ قلبي يكاد يطير فرحاً حين أتذكر
انّ عزّةً نظير عزّتك لا تستنكف من النظر الى
انا الضعيفة . وانّ عظمةً لا عظمة ارفع منـ
ترتضي ان تطلبني انا الذليلة المرفوسة بالارجل
وانّ ملكاً غنيّاً وقديراً بهذا المقدار يرتضي ا
يحبّني انا العريانة من كلّ شيءٍ *

ومن يقدر ان يصنع هذه المعجزات غير غ
جودتهِ واحشاء رحمتهِ وعذوبة محبّتهِ الغير الموصوفة
انّ تنازلهُ الى ذكري وارسالهُ ايّاي الى الاخير بيـ
خدّامهِ هما احسانٌ جليل في الغاية بيد انّهُ
يكتفِ بذلك . فتراهُ ينهض من عرشهِ الملكـ
ويبادل فقري بعظمتهِ السنيّة ويظهر للناس بشـ
أفقرهم : « قد اخلى ذاتهُ آخذاً صورة عبد خاد

واطاع حتى الموت وصُلب لخلاص الجميع وهو المنزَّه عن كلّ اثم وليس للموت شيء عليهِ». فصار شبيهاً بي في كلّ شيء في العمر والعيشة والعشيرة اذ انهُ صار طفلاً صغيراً فقيراً ولم يختر لهُ اهلاً بين الاغنيآء والعظمآء بل بين الفقرآء والمساكين *

فيا ما اعظم ما اجد في يسوع المسيح من المجد والكرامة والرجآء والتعزية. تعزَّ يا شعبي تعزَّ يقول الرب الملك. وما شعبُ الله الّا فقراؤهُ امّا الاغنيآء فليسوا بشعبهِ *

٢٠ : «ويلٌ لكم ايّها الاغنيآء لانكم قد اخذتم عزآءكم» (لو ٦ : ٢٤) وقال الرب ايضاً: «طوبى للمساكين بالروح فانّ لهم ملكوت السماوات» (متى ٥ : ٣) *

فسوآءٌ كلّ ما عُني بهذه الاقوال الفقر الروحي ام الفقر الجسدي فمما لا ريب فيهِ انها تثني في كلا

الحالين على الفقر الاختياري وتوصي بهِ : « انظرو
لا تحتقروا احد هؤلآء الصغار المؤمنين بي الصائرين
مساكين باسمي . لانّ الرب الاله يقول . انا هو
ابو المساكين وقاضي الايتام والارامل . قد سمعت
بغية المساكين ورغائبهم الباطنة وتذللهم فلا تحزنوهم
ولا تضروهم مكرًا او كرهاً لانّي انا المنتقم لجميعهم
فلا تطلبوا تكديرهم لأنّهم خاصّتي *

فاين انتم الآن يا فقرائي . أما سمعتم صوتي.
انظروا كيف انّهُ يشهد لكم لكي تحبّوا فضيلة الفقر
حبيبتي وتودّوها *

٢١ : اني ادعو فضيلة الفقر حبيبتي لاني
رفعت شانها للغاية بواسطة جميع اعمال حياتي .
فليتعلّم اذن جميع ملوك الارض وامرائها ان لا
يحتقروا هذه الفضيلة بل بالاحرى ان يعانقوها
ويكرّموها كفضيلة رفيعة قدّسها ملكُ السمآء والارض

ملك الملوك في مذوده *

ان كنتم لا تومنوا باقوالي فآمنوا باعمالي .
ذهبوا وانظروا الموضع الذي وُضِع فيهِ الرب .
سواء كنتُ في المذود ام في القبر فانا هو يسوع
لمسيح جسّوا وانظروا . ليس لي غنى ولا ملذّات
ل قط وكفنٌ *

فآمنوا اذن واعتقدوا بانّي فقيرٌ واَحبّوا فقري .
نّ ما قلتهُ كافٍ لمديح فضيلة الفقر الحقيقة حقًّا
جميع اكرامات عبيد الله ومحبّتهم اذ ان الله نفسهُ
وجميع القدّيسين آثروها على غنى العالم باسرهِ *

المظلّة الثانية

في التواضع

١ : لنتتبع كلامنا ولننتقل الى فضيلة التواضع
اذ انّ هذهِ الفضيلة إن لم تكن مقرونة بالفقر لا
يكون الفقر شهيّاً لديهِ تعالى *

فارتضي ايها الرب الهي وكلّمني ايضاً عن
التواضع كما كلمتني عن الفقر . انّي اعلم انّ الاسفار
المقدّسة لا تزال توصي بفضيلة التواضع بكل الانواع
وانّ هذه الفضيلة قد تلألأت فيك اكثر مما في
غيرك تلألؤاً عجيباً *

فمن ذا يستطيع ان يعلّم التواضع الحقيقي
ويبينهُ احسن من الهٍ صائر انساناً . فلذلك يا ربّ
اسمعك تقول للجميع بصوتٍ جهورٍ : « تعلّموا منّي
فاني وديع ومتواضع القلب » فاذا لم يكن في

التواضع الحقيقي نموذجٌ غيرك انت يا يسوع ربي .
اذا لم يكن لي داعٍ للتذلّل والتصاغر غيرك .
انت وحدك نعم انت وحدك تكفي *

فمن اتبع انا إن لم اتبعك وبمن اؤمن ان لم
اومن بك ومن يستطيع ان يقنعني بانّ التواضع
هو طريق السماء ان لم يُقنعني بذلك الآتي من
العلاء . فحتّامَ يا نفسي تكونين جاهلةً ولا تزالين
تسلكين طرقًا معوجّة . وتتيهين هنا وهنا ولا
تدركين الحقّ ابدًا *

٢ : ألا دونك الطريق الذي هو التواضع .
فليس طريقٌ غيرهُ . « انا هو الطريق والحقّ
والحيوة » *

تصاغري يا نفسي وتواضعي فيكون يسوع
حياتك . لا تلتفتي الى اقوال الناس لكن انظري
الى ما يقولهُ الرب يسوع للمتواضعين : « لا تخف

ايّها القطيع الصغير فانّ اباكم قد سُرّ ان يُعطيكم
الملكوت *

وقال في محلّ آخر وهو يتهلّل بالروح القدس :
« اعترف لك يا ابتِ ربّ السماوات والارض
لانّك أخفيت هذه عن الحكماء والعقلاء وكشفته
للاطفال نعم يا أبتِ هكذا صارت المسرّة قدّامك »
(لوقا ١٠ : ٢١) *

« وماذا تقولين عن المسيح . حقًّا انّ هذ
الرجل كان ابن الله » *

فان كان ابن الله لم يشأ ان يملك شيئًا في
هذا العالم وقد خلق مع الاب كلّ شيء فما تطلبين
انتِ وماذا تحبّين ايضًا في هذه الدنيا . خافي من
ان يُقال لكِ يومًا هذا الكلام : « انكِ من العالم » *

ان الرب يسوع اذ كان مع تلاميذه وحضرت
ساعة آلامهِ أراد ان يُعطي تلاميذه مثالًا في التواضع

الكامل والحب المتبادل فقام عن العشآء وترك
ثيابهُ ثم صبَّ مآءً في مطهرةٍ واخذ يغسل ارجل
تلاميذهِ وقال لهم : هل تعلمون ما صنعت بكم .
انتم تدعونني معلمًا وسيدًا وحسنًا تقولون . فاذا كنت
اذًا انا السيد والمعلم قد غسلتُ ارجلكم فانتم يجب
عليكم ان يغسل بعضكم اقدام بعض . لاني اعطيتكم
مثالًا لكي تكونوا كما صنعتُ انا بكم تصنعون انتم
ايضًا » (يوحنا ١٣) *

فيا لهُ نموذجًا في تواضعٍ سامٍ رفيع . انَّ الله
يصير خادمًا للبشر امّا الانسان فيابى الخضوع
للانسان مثلهُ بل لله نفسهِ *

فليخزَ المتكبّرون وليرتعدوا لانّهم احتقروا
كلام الله *

٣ : أجل يا رب انّك قد غلبتنا بتواضعك
وأخزيتنا في كبريائنا وقد اكتسى وجهنا العار *

قال الرب ما الذي وجب عليّ ان اعمل
لاجلك ايها المتكبّر ولِمَ اعملهُ ولماذا تنظر اليّ
انظنّ انك افضل مني . انك لو لم تظن ذلك
لكنت تواضعت ولذا كبرياؤك لا يزال الآن
يتصاعد *

توبوا يا بني البشر ولا تطلبوا العلياء فاني لا
اكون معكم . انكم إن ارتفعتم ستطئم امام اعدائكم
فيضحكون منكم فتعلمون اني اقاوم المتكبرين *

تواضعوا تجاه يديّ القديرتين فارفعكم لانّ
« من يتّضع يرتفع ومن يرتفع يتضع » *

كثيرون احبّوا الارتفاع فسقطوا كالحجر في
عُمق الهاوية : فرعون غرق مع مركباتهِ في البحر
الاحمر . آدم طُرد مع حواء من الفردوس الارضي
الملاك المارد سقط مع تبعتهِ من السماء . فهؤلاء
باجمعهم تدهوروا في هلاك الموت الابدي لانهم

صعدوا على جبل الكبرياء *

واحسرتاه يا ربّ واحسرتاه · من يستطيع
الوقوف امام شدّة رجزك وغضبك . انّك قلبت
المتكبّرين اذ كانوا يرتفعون · سقطت بابل وكان
سقوطها عظيمًا · فماذا اعمل انا التعس والى ابن
التراب · اني ارجف وارتعب لانّ الله لم يصفح عن
الملائكة ولا عن البشر حين تكبّروا . فالويل لي
ان تكبّرتُ مثلهم · والويل لي ثمّ الويل ان لم
اتذلّل واتصاغر *

٤ : فمن يريني الطريق التي يمكنني السلوك
فيها آمنًا وسالمًا من الخطر . قال الربّ : « انا هو
الطريق . وايّ انسان يدخل فيّ يخلص . هلمّوا
اليّ انتم جميعًا الذين تطلبونني فلا تعثروا نظير
المتكبّرين بحجر الشكّ . انا هو نور العالم من
يتبعني لا يمشِ في الظلام بل يكون لهُ نور الحيوة ·

انا هو مثال العدل ونموذج التواضع . انا هو
الراعي الصالح الذي يُقيت خرافهُ وقد اغذيتهُ
ببرارة قلبي وقوّيتهم باقوال فمي . »

فيا ايُّها الرب الهي الذي اغذيتني من
حداثتي لا تهملني بل أعطني ان احيا في تواضعك
وليهدني روحك القدّوس في ارض مستقيمة من
اجل اسمك *

انّ التواضع هو الذي يخلّص نفسي ويقي
من شرور الابدية فإن كنتُ متواضعاً خلصتُ *

قال لصّ اليمين بقلب منكسر متضع
اذكرني يا رب في ملكوتك فأجابهُ يسوع : الحق
اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس

يا لفضيلة التواضع التي فتحت ابواب الفردوس
للصّ اليمين ما اعظمها *

آدم آدم ابن انت *

اجاب آدم وقال : سمعتُ صوتك فخفتُ لانّي
[عر]يان . ويحك من عرّاك غير كبريائك . قال
[ك]ما اميركما : انكما تصيران كآلهة . فكذب الاثم
[ع]لى ذاتهِ وجلب التعاسة على آدم وعلى جميع
[ذ]رّيتهِ فلم يصل اليها شيء من غنى اللاهوت بل
[ا]صنكها الوجع والتعب *

فذاك اللصّ المتواضع هو افضل من آدم
[الج]بار في اوّلهِ والمنفوخ من ثمَّ بكبريائهِ . انّ الأوّل
[ص]عد بواسطة تواضعهِ والثاني نزل بواسطة
[ال]كبريائهِ . ولِمَ اقول انهُ نزل فيا حبّذا لو كان
[ك]ذلك . بل انهُ سقط بين لصوص نهبوهُ . لانّ
[ال]كبرياء لا تنزل ابدًا . لكن تسقط دائمًا . فانها
[س]قطت في السماء وسقطت في الفردوس وسقطت
[ف]ي البحر الاحمر وتدهورت في عمق الهاوية *

امّا ربّنا يسوع فقد نزل من السماء ثمّ

صعد الى اعلى السماوات لكي يتمّ فيهِ كلّ شيء
٥ : يا يسوع الصالح ما اعجب المكافحة التي
تكافحها عني في كلّ مكان اذ تُنزِل الاعزّاء عن
الكراسي وترفع المتواضعين *

انك قلت لزكّا : « يا زكّا اسرع وانزل
فاليوم ينبغي لي ان اكون في بيتك » (لو١٩ : ٥
فأَسرع ونزل وصار ابناً لابراهيم *

وطلب قائد المائة الى الرب يسوع قائلاً
« يا رب انزل قبل ان يموت ابني » فقال ا
يسوع « اذهب فانّ ابنك حيّ » *

ونزل ايضاً يسوع من الجبل فتبعهُ جمع
غفير . انك يا رب قد نزلت لكي تخلّص الجنس
البشري الذي كان هلك لطلبهِ الصعود *

فلماذا اذن نحن باجمعنا شديدوا الرغبة في
الصعود كثيروا الكسل في النزول . وقال

خر : يا معلّم اني اتبعك الى حيث تمضي .
نعم القول انّي اتبعك لانّ من يتبعك لا يضلّ
انك النور والنهار ومن يمشِ في النهار لا
زلّ *

اني اتبعك الى حيث تمضي . اني اتبعك
سواءً صعدتَ او نزلت . لانّك قد علّمتني حسن
الصعود والنزول *

فمن يصعد من العالم الى الآب حسناً
يصعد . ويا ليتني اصعد اليهِ اذ انّ هناك كنزي
الغير الفاني وهناك يُحتفل بعرس الحمل . غير انّ
عيد جميع القدّيسين العظيم قد قرُب فاصعدوا
في هذا العيد وامضوا قولوا لاخوتي : « اني
صاعد الى ابي وابيكم والاهي والاهكم » (يو ٢٠ : ١٧)

« من يصعد الى جبل الرب ومن يقوم في
موضع قدسهِ » . « جبل الله جبل مخصب فلماذا

تستقصون النظر في الجبال المغطّاة للحصاد ·
انّ هذا الجبل الشاهق بهذا النوع لا ير
العائشون في هذا العالم *
انّ القدّيس يوحنّا ارتفع على اجنحة التأمّل
فشاهد الحمل على جبل صهيون · وداود النب
هتف قائلاً وهو يذوب شوقاً الى اتّباع الحمل
« من يُعطيني جناحاً كالحمامة فأطير واستريح
(مز ٥٤ : ٧) وشمعون بطرس صعد ايضاً فقال
« جيّدٌ يا رب ان نكون ههنا » فهؤلاء الافاضـ
قد تبعوك يا يسوع فأريتهم المجد الابدي الذ
وعدت بهِ احبّاءك · فقد فهمتُ الآن ما هـ
الصعود وكيف يرتفع الى ملكوتك من يحتقـ
العالم *
٦ : ولكن لنعُد الى النزول لانّ وقتهُ قـ
حضر · « يا رب طأطئ سماواتك وانزل المسـ

جبال الكبرياء فتدخن » (مز ١٤٣ : ٥) انزل
لينا لاننا لا نقدر على الصعود اليك واذا حاولنا
ذلك خانتنا قوانا واذا عدنا فصعدنا سلكنا
طريقاً معوجاً وامسينا اتعس مما لو كنا بقينا في
السهل ونسقط في موحل غامر *
اذا قدر الاعرج على الركض والمقعد على
السير . استطاع ايضاً المتكبر التقدم في الفضيلة .
لانه كلما ركض زل . وكلما علا سقط سقطة عظمى
لا قيام له منها *
فيا ايها المتكبر « انك ولو ارتفعت كالنسر
وجعلت عشك بين الكواكب من هناك اهبطك
يقول الرب » (عوبديا ١ : ٤) « قد سمعنا
بتكبر مواب الشديد الكبر بتجبره وتكبره وحنقه
وصلفه الذي لا رصانة فيه » (اشع ١٦ : ٦) *
لماذا تتكبر ايها التراب والرماد . انك تراب

والى التراب نعود . ان اردت الصعود فانزل
اوّلاً « باطلٌ لكم ايها المبكّرون للقيام . قوموا من
بعد الجلوس » . (مز ١٢٦ : ٢) فعلى هذا الوجه
تقتدي بالقدّيسين . انّ ايوب كان ساجداً على
مزبلة وداود امام الرب وحزقيال بين المأسورين

فخرّ انت على الارض واكتب على الرمل
هذهِ الاقوال : « يا رب اذكر انك قد صوّرتني
مثل الطين أَفتعيدني الى التراب » (ايوب ١٠ : ٩
وصلِّ الى الله قائلاً معِ داود النبي : « اليك
وحدك اخطأتُ والشرّ قدامك صنعت (مز ٥٠ : ٦
فلا تدخل في المحاكمة مع عبدك فانّهُ لن يتبرّر
قدّامك كلّ حيّ » (مز ١٤٢ : ٢) *

تذكَّر ايضاً ذلك العشّار الذي كان قائماً
من بعيد لا يريد ان يرفع عينيهِ الى السماء بل
كان يضرب على صدرهِ ويقول : اللهمّ ارحمني

نا الخاطئ . فالحقّ اقول لكم انّ هذا نزل الى
بيتهِ مبرّرًا دون ذلك اي الفرّيسيّ .
(لو ١٨ : ١٠) *

« مَن مثلك يا رب آلهنا المرفّع جلوسهُ
المتسفّل لينظر ما في السماء وما في الارض الذي
ينهض الذليل من التراب ويرفع الفقير من
المزبلة » (مز ١١٢ : ٥) *

« اذكرنا يا رب في تذلّلنا واحفظ قطيعك
الصغير وضع الخطاة الى الارض . احكم لليتيم
والمسكين لكيلا يرتفع انسان على الارض . » *

فانّ هذا الذي اراهُ حين مروري بحقول
الكتب المقدّسة اي انك ترذل المتكبّرين وتكثّر
فيهم الجراح *

لنرَ الآن ما هي اعمال الرجل المتواضع
وما سيرتهُ وافكارهُ وعلامة قداستهِ *

قال الرب : انهُ يلبث مستترًا في بيتهِ ويطلب
دائمًا لتواضعهِ المكان الاخير على حدّ ما كُتب : « متى
دعاك احدٌ الى عرس فاذهب واتكئ في آخر
موضع » (لو١٤ : ٨) . ولا يصنع ذلك تصنعًا بل
يعتقد انّ ذلك استحقاقهُ والاّ فلا مجد لهُ ولا
مكافأة لدى الرب السماوي الذي يرى في السرّ
واذا بكّتهُ الناس وطعنوا فيهِ احتمل ذلك
بصبر وسكوت واتضاع مفتكرًا في قلبهِ بالاهانات
التي احتملها مخلّص العالم لانّ اليهود كانوا يقولون
عنهُ : « انّ فيهِ شيطانًا . ويخدع الامّة . وانهُ رجل
أكول شرّيب محبّ الخطاة والعشّارين . »
٧ : انّ المتواضع يعزّي ذاتهُ بهذهِ الاقوال
« ليس عبد اعظم من سيّدهِ فان كانوا قد سمّوا
ربّ البيت بعلزبوب فكم بالحري اهل بيتهِ »
اني اتبع مخلّصي يسوع القائل : « مَن اراد ان

تبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبهُ ويتبعني * . لا
تقلقي يا نفسي اذ انكِ انتِ تاخذين جزاء
عمالكِ اما يسوع ربكِ فانهُ لم يقترف شرًّا ولم
عمل شيئًا يستوجب الموت ومع ذالك فقد
ضع نفسهُ حتى موت الصليب « فان كانوا قد
صنعوا هكذا بالخشب الاخضر وهو في فردوس
ارب فماذا يُصنع بالخشب اليابس نظيركِ » *
فليس اذن في شكواي شيءٌ صائبٌ وبعدل
صيبني الاحتقار وان كان متواترًا وآتيًا من اي
جهةٍ كانت *
وقال الرب : ثم انَّ المتواضع اذا وبخهُ احدٌ
و شكاه لا يعتذر ولا يطلب المدافعة عن ذاتهِ
ل يُظهر كلَّ تذللهِ ويقرُّ بذنبهِ ويعد باصلاحهِ .
ذالك لانهُ لا يطلب مسرَّة الناس بل مسرَّة الله
عالى وينظر الخزي امام الناس كلا شيء لانهُ

يخاف من دينونة الله التي فيها يظهر أخفى
الاشياء . فكلّ من يعترف الان بذنبهِ بتواضع
ينال منّي مغفرة خطاياه *

٨ : ان المتواضع اذا وبّخهُ احدٌ بعدلٍ او
ظلم يقول دائمًا : « الك وحدك اخطأت والش
قدّامك صنعت . اني للضرب مستعد ووجعي
مقابلي في كلّ حين . فلذلك اعترف باثمي و
اكتم خطيتي » ويحسّ في باطنهِ بجُرح الخطيئ
ولذا كلّ ما يوآه في الخارج يلوح له خفيف
الاحتمال *

انّ اعظم دلائل التواضع هي اقرار الانسان
بذنبهِ حين التوبيخ . امّا المتكبّر فيفرغ كلّ جهد
في الاعتذار والمدافعة عن نفسهِ امام الناس
ويقول كلاّ ثم كلاّ انّي ما فعلتُ ذلك . وانّ
كنتُ قد فعلتهُ فجيّدًا عملتُ . وان كان في عملي

رٌ فهو طفيف ليس فيهِ من الجسامة ما يستوجب الذكر. ومن ذا الذي يتفوّه عليّ بهذهِ الاقاويل * بل كثيرًا ما يفتخر ذاك المتكبّر بشرّه جهارًا يقول: كنت هناك ففعلتُ ذيت وقلت كيت واجبتُ كذا فيا لها تعاسةً ويا لها عماوةً انّ فم المتكبّر نفسهُ ينطق بسوءِ عملهِ ولا يقدر على احتمال سوء اعتبار الناس لهُ « يا بني البشر حتى متى تحبّون الباطل وتبتغون الكذب » (مز ٤ : ٣) *

انّ المتواضع هو الذي لا يجيب العجب اذا سُئل بل بتأنٍ مقرون بحكمة وبعد امعان النظر والتروّي ولا يطلق ذاتهُ للضحك بسهولة ومَن اذا تبسّم لا يكون تبسّمهُ الّا مقرونًا برصانة ووقار. يكون قلبهُ مفتوحًا دائمًا للعبادة الباطنة لأَنهُ لا يطلب تعزيتهُ في الافراح الزمنية. ولكنهُ يتفرّغ للتخشّع ويسبق دائمًا الجميع في فحص ذاتهِ *

ويبكي على خطاياه ويحب روية الصلاح في
غيرهِ ويحتمل امراضهم ويجتهد برفقٍ في وجدان
السبيل لاعتذارهم . ولا يبالي باشياء هذه الدني
العظيمة الرفيعة ولا بكراماتها ومناصبها ورتبها ومعاليه
بل يعتبر جميع هذهِ الاشياء فانية باطلة . وحقيقة
انَّ الانسان لا ياخذ معهُ شيئاً منها بعد موتهِ *

٩ : ويقول ابن الذين رآهم زاهرين فها انه
قد عبروا كسيَّاح وكمثل ضيف ليلة قد جازوا
ويعانق الاهانات والذلّ محتقراً جميع كرامات العا
« وقد آثر ان يقف على العتبة في بيت الهِهِ عل
السُكنى في مساكن الخطاة » (مز ٨٣ : ١١) ويحمل
نير الرب الخفيف وينبذ عنهُ عبوديّة ابليس الشاقة

ليس شيء اصعب من الرغبة في الصعود
ان صعود المتكبّر باطل لانهُ يخاف دائماً ان يسبق
احدٌ ولا يعلم انهُ كلّ يوم يحُطُّ وينزل . اما السلا

الفرح فيصحبان المتواضع الذي يسلك في طريق القديسين المستقيمة ويُقيم في الاودية.« والاودية تتوشّح الحنطة (اي بتعزيات الروح القدس) فيهتفون اليك ويسبّحون» (مز ٦٤ : ١٤) *

ولذا الرجل المتواضع لا يرغب في شيء من خيرات الارض لانّ كلّ رجائهِ في الخيرات السماوية ويصلّي الى الرب قائلاً مع داود النبي : « يا رب انت رجائي منذ صبوّتي وانت نصيبي في ارض الاحياء . من لي في السماء وماذا اردتُ سواك على الارض يا الله اله قلبي ونصيبي الى الدهر» (مز ٧٢ : ٢٥ و٢٦) *

انّ المتواضع لا يحبّ غير الخضوع وهو مستعد للخضوع للغير من اجل اسمي وبتذكر ما جاء في الكتاب المقدّس : انّ الصبي يسوع تخلّف في اورشليم ولم يعلم ابواه . واضاف الكتاب قائلاً للحال:

« ونزل معهما. وكان يخضع لها » . (لو ٢: ٤٢ و ٥١
وجاء ايضاً وانا في وسطكم كالخادم » *

فيقول لنفسهِ : يا نفسي الا تخضعين لله ومن
خلاصك . فهيّا يا نفسي اخضعي لله فانهُ هو
خلاصك *

١٠ : انّ المتواضع يحب الخضوع والاحتقار
وخمول الذكر. ولكن اين الرجال الذين يعملون
بموجب هذا المثال *

يا رب انك تعلم ذلك وتعرف زمرة المتواضعين
القدّيسين باسرهم اذ انك تسكن فيهم . فلستُ ا
من صنفهم ولكن ارحمني يا ربّ واغفر لي خطاياي
واعطني على القليل بجاه استحقاقاتهم وقتاً لأتوب
ليفرح ويبتهج من كان من صنف اولئك
المغبوطين لانهُ قد وجد اعظم النعم امامك . اني
اتذكّر العذراء مريم امّ الله واقدس جميع القدّيسين

كلام الملاك لها : « لا تخافي يا مريم فقد ظفرتِ
نعمةٍ من عند الله » (لو ١ : ٣٠) فلمَ لا اظفر انا
نعمة في عينيك *
اجاب الرب : لانّك لست بعد صغيرًا في
عينيك . وانّ ما يوقف نعمتي هو جدار الكبرياء .
فاقلع اولاً هذهِ الخشبة من عينيك فتنظر اذ ذاك
انا عاملةً في عبدي المتواضع *
اني لا امسك نعمتي عن المتواضعين واجيب
دائمًا الى صلاة المسكين . اسمع ما يقولهُ داود
النبي : « هذا الفقير صرخ فاستمعهُ الرب ومن
جميع ضيقاتهِ خلّصهُ لان الرب نظر الى صلاة
المتواضعين ولم يرذل طلبتهم » (مز ١٠١ : ١٨) *
كثيرون يأتون اليَّ بقلب مرتفع فلا استمعهم
لانهم لا يطلبون مني الشفاء من خطاياهم بل ان
يكونوا قدّيسين في اعين الناس . نعم انهم يطلبون

العبادة لكنّهم يابون احتمال الذلّ معي . و يتوقون
الى التواضع . لكنهم يخشون قبل كلّ شيء ان
يكونوا خاضعين مع المتواضعين لئلاّ يحتقره
الناس *

وعلى هذا النحو يطلبون محبّة الفضيلة
ولكن من دون ان يمقتوا الرذيلة فيتوهمون في
اشواقهم لأنّ من يريد ان يذوق حلاوة الفضيلة
يجب عليهِ ان يقلع من قلبهِ الرذائل واشوا
الشهوات *

انّ المتواضع لا يزال يفرغ وسعهُ في اباد
كلّ ارتفاع من قلبهِ ويمقت الرفعة اكثر من سائر
الرذائل لانّ الرغبة فيها من اعظم الشرور . فهي
التي صيّرت الملائكة شياطين والبشر خطاة . لان
من يرتفع في قلبهِ يكون نجسًا امام الله *

١١ : الويل لكم ايّها العظماء في اعينك

لحكماء في راي انفسكم · الويل لكم انتم الذين
ظنون ان كلّ شيء رفيع مقدّس وتقولون حين
بلون التعظيم انّ في ذلك كرامة الله ومجده *
لماذا تخدعون قلوبكم « انكم ترتفعون كثيرًا
بني لاوي » فلا تسلكوا الطرق الرفيعة والعجيبة
دكم في الغاية . بل اخفضوا رؤوسكم العاصية .
ن لم تصنعوا ذلك فاني اقوم ضدكم واجعل
سماء والارض وجميع العناصر ضدّكم بل اجعل
عالم كلّهُ يقاوم معي غباوة المتكبّرين *
وسوف يُخفض تشامخكم ويرفس ارتفاعكم بالارجل
تحوّل مجدكم الارضي الى خزي وخجل *
الويل للصاعدين من جهة الشمال الى الجبل
عالي ليروا جميع ممالك العالم ومجده . الويل
قائلين انّ رجاءنا برج بابل هناك نجلس
طرب . ألا لا يكوننّ ذلك لاني ساكذّب هذا

الكلام *

انهم سيسمعون صوت البكآء والعويل في
وسط افراحهم الويل لكِ يا بنت بابل طوبى لمن
يعاملكِ معاملتكِ *

هوذا المقرعة والسندان والعصي والسياط
وصرير الاسنان والدموع تتهدّد المتكبر. هوذا
الخراب والذل والعار والخزي تسود المتعجرف
فكفّوا اذن عن رفع رؤوسكم المتشامخة. كفّوا عن
ان ترموا الله بسهام التجديف وتذلّلوا مخلين ذواتكم
الى آخر شيء منها *

١٢ : انّ اساس القداسة التواضع فلا يستطيع
احدٌ ان يضع اساسًا غير هذا وهو يسوع المسيح
وهذا الاساس ثابت على الجبال المقدّسة. لانّ
الرب يفضّل ابواب صهيون على مساكن بابل
باسرها *

اني كنتُ اريد ان اتكلّم عن المتواضعين
منعني عن ذلك كبرياء ابليس فيا ما اكثر الذين
جدهم في كلّ حين متأهّبين للصعود والكرامات
الرتب والمناصب وبطيئين في النزول *

انهم يحتسبون ذواتهم ذوي شهرة وعظمة .
يظنّون في انفسهم انّهم ممتلئون شجاعة ومتصفون
الوف من مثل هذه الخصائل *

فليتحفّظ على الخصوص من هذهِ الافكار
الرديئة فقرآء يسوع المسيح وليبادروا الى الغائها
عيدًا عن قلوبهم *

وينبغي لنا ايضًا ان نثني كثيرًا على ابتعاد
المتواضع من جلبة العالم وعلى رغبتهِ في الاشيآء
الباطنة اذ انهُ يتجنب الظهور في الخارج ويفرح
بكونهِ كميّت مدفون ومختفٍ عن اعين الناس . وانهُ
يفتكر الّا في الامثلة التي قدّمها لنا القدّيسون في

التواضع وفي ضعفهِ الذاتي وفي تواضع يسوع اذ
كان عائشًا بين البشر *

ويجد في ذاتهِ دواعي عظيمة للتذلّل والتواضع
ومادّة واسعة للتأمّل في الليل والنهار *

١٣ : واذا قرأ الاسفار المقدّسة اعتبر بعد
الشاسع عن فضائل القدّيسين وتعجّب من رياضاتهم
واشغالهم وتجاربهم وامساكاتهم . وتفرّس في تواضعهم
السامي وصبرهم الغير المعول وطاعتهم الكاملة
وامانتهم التامة في خيرات العالم بأسرها . فيذرف
الدمع السخين ويمتلئ حزنًا شديدًا للغاية لانهُ لا
يحسّ في باطنهِ بنشاط القدّيسين ولم يفرغ الجهد
الذي افرغوهُ هم في اكتساب الفضائل *

ويتنهد قائلاً : ايها التراب ما انت الاّ قطعة
من لحم ودم تستر نتانتك . الارض وطنك وجميع
افكارك من الارض وحياتك حياة حيوان

اهتمامك كلهُ في الاخشاب والحجارة وقد جعلت
الاكل والشرب والنوم والبطالة قصارى آمالك *

فيا ما اذلّ حالتنا نحن الذين بالكاد نملك
من فضائل القديسين ما يبقى في الطريق من
آثار ارجل المارّين فيها . ومع ذلك فاننا نتكبر
ايضًا ولا نريد ان نسلك طريق التواضع .
نشاطنا في الخير ينقص وشرّنا يعظم كلّ يوم ومع
ذلك نريد ان نكون شيئاً في اعين الناس بل
ذوي جاهٍ واعتبار *

يا ما ابعد هذهِ الافكار من قلب المتواضع
المضطرم برغبة التقدّم الدائم في القداسة . لانهُ
نظر الى ذاتهِ فابتعد مملوءًا مرارة الى داخل
مظلتهِ وهو ساخطٌ ليذرف هناك الدموع *

ثمّ انهُ نهض وقرأ في سفر بولس الرسول ما
جاء عن اعتبارهِ لنفسهِ : « اني اصغر الرسل

ولستُ اهلاً ان أُسمّى رسولاً لاني ناصبتُ بيعة الله
(١ قور ١٥ : ٩) وقرأ في الانجيل كلام العذراء
الطوباوية : « انهُ نظر الى تواضع أمتهِ » (لو ١
٤٨) وقرأ في سفر الزبور : « كنتُ اذلّل نفسي
بالصوم ولباسي هو المسح » (مز ٣٤ : ١٣) وقال
في آخر الامر مع ابراهيم : « هاءنذا قد طفقتُ
اتكلّم امام سيدي وانا ترابٌ ورماد » (تك ١٨ : ٢٧
هذا ما يصنعهُ في قلب المختارين التواضع
الحقيقي مبدأ جميع الفضائل وحافظها *
١٤ : فانهض اذن يا صاحب وبادر الى
ملاقاة هذه الفضيلة قائلاً لها : مرحباً بكِ يا
فضيلة التواضع سيدتي . هلمّي ادخلي الى بيتي
فضيلة يسوع المسيح يا من جعلتنا نجد حظوة
عند الله وكنت مجد مريم العذراء الاعظم *
هلمّي اليَّ يا من بكِ اندملت جراحات الكب

نجا النوع البشري باسره بعد ان كان هالكًا الى
الابد . انك انت فتحت السماوات وكسّرت ابواب
الجحيم . انتِ رفعتِنا واعدتنا الى وطننا . انتِ التي
تزرين الخطاة وتجمعين الصدّيقين بالملائكة .
انتِ دعوتِ يسوع المسيح من السمآء ورفعت
مريم العذراء فوق طغمات السرافيم *
انّ الله وان كان غنيًّا في النعم فلا يعطي
نعمة الّا للمتواضعين . ولذا قد امتلأت مريم
العذرآء نعمةً لانّ فضيلة التواضع فاضت فيها
اكثر ممّا سواها *
قد تبيّن لك ممّا مر انّ فضيلة التواضع
كانت وان نزل اعظم فضيلة في القدّيسين كلّهم .
لانها هي تستحقّ ما لا يحقّ للفضل وتفهم ما لا
يدريه العلم وهي بعيدةٌ عن السقوط لانّها لا تعتمد
على قواها *

فمن يملك هذه الفضيلة ويحبها ويحفظها يس
ويسترح بسلام يسوع المسيح بموجب وعد
للمتواضعين : « تعلموا مني فاني وديع ومتواض
القلب فتجدوا راحةً لأنفسكم » (متى ١١ : ٢٩)(١)

١ : فان كنت تحبّ الان ايها العزيز ان
تعرف ما هو التواضع لتتدرّب بهِ فاعلم ان
فضيلة بها يتقدم الانسان في معرفة ذاتهِ وعدم
حتى يدرك كمالها ويعتبر ذاتهُ في كلّ حين بموجب
هذه المعرفة *

قال القدّيس يوحنا الذهبي الفم : مهما عملت
من صلاح فاصنعوهُ بتواضع لئلاّ يكون عملك

( ) لما كانت فضيلة التواضع اساس جميع الفضائل
والواسطة الوحيدة لنوال جميع النعم احببنا التوسع في تعريفه
ونبيين سبلها فاضفنا الى ما مرّ هذه الاعداد الاتية تتم
للفائدة واسندناها الى شواهد الكتاب المقدس واقاويل
القديسين *

طلاً *

ان القدّيسين لم يبلغوا الى القداسة الّا بتواضعهم
ان كانت عندنا فضائلهم كلّها الّا تواضعهم فلا
صيب لنا معهم . « لانّ الله يقاوم المستكبرين
يعطي نعمةً للمتواضعين » (يعقوب ٤ : ٦) *

قال القدّيس اوغسطينوس : انّ الله عالٍ
جدًّا فان ارتفع الانسان امامهُ زاد هو ايضًا ارتفاعا
وابتعادًا عنهُ وكلّما تنازل ووضع نفسهُ استمالهُ اليهِ
خيرانهِ كقول داود النبي : « الربّ عال وينظر
المتواضع » (مز ١٣٧ : ٦) *

« إنّما الى هذا أنظر يقول الرب الى المسكين
والمنسحق القلب والخائف من كلامي » . (اشع ٦٦ : ٢)
وهكذا يقول العلي الرفيع ساكن الازل القدّوس
اسمهُ : « في العلاء والقدس اسكن ومع المنسحق
القلب المتواضع لأُحيي ارواح المتواضعين وانعش

قلوب المنكسرين » (اشعيا ٥٧ : ١٥) *

وقال القدّيس اوغسطينوس : انّ مياه المط
لا تستقرّ فوق الجبال لكن تجتمع في الاود
فكذلك النعم السماوية لا تستمرّ ابدًا في القلوب
العالية المتكبّرة لكن في القلوب الوضيعة كقول
المرتّل : « انّهُ يرسل العيون في الاودية » (مزمو
١٠٣ : ١٠) *

فلنجعلنَّ اذن انفسنا واديًا بالتواضع كي تجتمع
فيها امطار النعم « اذ انّ جميع الاودية تمتلئ وكل
الجبال والآكام تتواضع » (لو ٣ : ٥) *

كلما تواضع الانسان فاضت فيهِ النعم وتمكّنت
فضائلهُ وعظم اسمهُ في السماء وكثرت اعمالهُ الصالحة
لانّ الرجل المتواضع ينسب لله كل خير يصنع
وكلّ صلاح يجدهُ في ذاتهِ او في غيرهِ ولذا يُجزل
الله لهُ العطاء بطيبة ومسرّة لعلمهِ انّ كلّ الخيرات

ي يؤتيهِ اياها ستعود الى مجدهِ وتعظيم اسمهِ
قدوس *

٢ : انّ التواضع هو الارض الجيدّة وفي
تلك الارض تنبت ازهار الفضائل المجيدة وتنمو
اشجار الخصائل الحميدة *

قال الرب يسوع : « كيف يمكنكم ان تؤمنوا
وانتم تقبلون المجد من بعضكم بعض ولا تطلبون
المجد الذي من الله وحدهُ » (يو ٥ : ٤٤)
فالتواضع اذن اساس الايمان *

وهو ايضًا اساس الرجاء اذ انّ الرجل
المتواضع لعلمهِ بضعفهِ لا يزال يستجير الرب ويرجو
قائلًا مع داود النبي : « اما انا فمسكين
وفقير الرب يهتمّ بي · عوني ومنقذي انت هو
يا الهي » (مز ٣٩ : ١٨) *

فايّ قلب لا يتقد بحبّ الله والقريب اذا

ما اعتبر من الجهة الواحدة عدمهُ وكثر
خطاياهُ وفضل من سواهُ عليهِ . ومن الجهة الاخرى
محبّة الله لهُ وكثرة احساناتهِ اليهِ : « ما هو
الانسان يا رب ما هو الانسان حتى تعظّمه
وتضع عليهِ قلبك » (ايوب ٧ : ١٧) *

انّ التواضع لمصدر الصبر واساسهُ . لان
الرجل المتواضع يهتف مع ميخا النبي قائلاً سب
شدائدهِ وبلاياهُ : « هاءنذا احتمل غضب الرب
لاني اخطأتُ اليهِ » (ميخا ٨ : ٩) *

انّ السلام لا يوجد على الارض الّا في قلوب
المتواضعين كما يُستنتج ذلك من الكلام الآتي
« المتواضعون يرثون الارض ويتنعّمون بكثرة
السلام . (مز ٣٦ : ١١) اما المتكبّرون فبينهم
خصومة دائمة » (امثال ١٣ : ١٠) *

التواضع عماد العفّة فلا تدوم عفّة بدون

اضع وما الدعارة والفحشآء الّا عقاب الكبرياء
كما يشهد بذلك بولس الرسول في رسالتهِ الى
ل رومية : «انّ الله اسلم اليونانييّن الى الادواء
فاضحة لانّهم ظنّوا بانفسهم انهم حكماء »
روم ا : ٢٢ و ٢٦) *
وخلاصة ذلك انّ جميع الخيرات والنعم
اتينا بقناة الاتّضاع كما يقول الحكيم : « كن
تواضعاً في الجميع فتجد نعمةً قدام الله »
سيراخ ٣ : ٢٧) *
٣ : فاقبل ايها العزيز على ممارسة التواضع
لا تطلب مجداً غير مجد هذه الفضيلة لانّ
كل مجد عاليّ سريع الزوال والانقلاب ولا
دوم الى الابد غير مجد المتواضعين والذين
م صغار في اعين انفسهم : « لا تخف ايها
قطيع الصغير فانّ اباكم قد سُرّ ان يعطيكم

الملكوت » (لو ١٢ : ٣٢) *

فهيّا بنا نتوقّل سويةً اسمى درجات التواض
الثلاث . فالدرجة الاولى فيهنّ هي ان نعرف
ونعتقد انّ كلّ ما لنا ما خلا العدم والخطي
انما هو من لدن الله . « كلّ شيءٍ بهِ كان
وبغيرهِ لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ٣)

قال الكتاب الالهيّ : « ان ظنّ احدٌ ا
شيئًا وهو ليس بشيء فانما يضِلّ نفسهُ
(غلاط ٦ : ٣) *

انّ الانسان لاحقر من العدم نظرًا ا
سماجة جسدهِ ونتانتهِ . « الانسان رمّة وابن البش
دود » (ايوب ٢٥ : ٦) بل هو احقر سا
الكائنات نظرًا الى فساد نفسهِ وخطاياهُ
« ليس الذي يدخل الفم ينجّس الانسان لكن
الذي يخرج من الفم هذا ينجّس الانسان .

ستي ١٥ : ١١) *
قيل انّ قدّيسةً ما طلبت ذات يوم من
ان يُريها ذاتها . فعند نوالها بغيتها عادت
الله تطلب اليهِ ان يخفي عنها شيئًا من هذهِ
رؤيا المريعة لئلّا تفشل ويفلّ عزمها *
واحسرتي اني كثيرًا ما احتسب ذاتي شيئًا
اعدّ نفسي قدّيسًا لشرور يحفظني منها الرب
دونهِ او لبعض صلاح يجعلهُ فيَّ لمجدهِ لا غير وقد
اتي ان اذكر اني خلوًّا من نعمة الله « بائس
شقيّ وفقير واعمى وعريان » (رو ٢ : ١٧) *
نعم « انّ ارادة الله هي قداستي » ولكن هل
تبغي لي لمجرّد ذلك ان اعدّ ذاتي قدّيسًا . يا ما
اكثر تقصيراتي وما ابعدني عن فضائل القدّيسين
التي يجب عليَّ التمسّك بها . يا ما اعظم ضعفي
البشري الذي يتهدّدني كلّ حين بالسقوط والفتور

وما اكثر اسباب الزلق . يا ما اشد اعدآء خ
الذين « كالاسود يزأرون ويجولون يلتمسون
يبتلعونهُ » (١ بطرس ٥ : ٨) *

ويحي اني لا استطيع ان اصلّي صلا
دون ان يطيش فكري ولا اقدر ان اقول
او اعمل عملاً من دون ان ازلّ واخطأ
اني محرومٌ بذنبي من نعم القدّيسين فلا
من ان اعدّ ذاتي كواحد منهم عوضًا ع
ارثي لحالي واسترحم ربّي . فالويل ثمّ الو
انا الشقي *

فلا ينبغي لي اذن ان اعدّ ذاتي قد
في السمآء . اذ لا احد صالحًا من طبعهِ غير
فلذا بكلّ صواب يحذّرنا القديس بولس
« اعملوا خلاصكم بخوف ورعدة » (فيلب ٢ :

انّ التواضع هو اساس القداسة فط

اعتقد يقيناً باني عدمٌ وخاطىء وقابلٌ في كل حين لأَن اخسر نعمة الله واكون شرّ الناس فانا بعيد عن القداسة بُعد السمآء عن الارض ·

« من ظنّ انهُ حكيمٌ فهو جاهل » (روم ١ : ٢٢)

فان شعرت ايها العزيز بافكار الكبريآء والعُجب بما انت عليهِ فعليك ان تقاومها بهذا الكلام او بما يشابههُ : « اني لستُ شيئاً وبنعمة الله صرتُ ما انا عليهِ » (٢قور ١٢ : ١١ و١ قور ١٥ : ١٠)

يا ما اليق هذه الاقوال بلسان الرجل المتواضع وما احلاها لذوقهِ : « ارحمني يا رب انا الخاطىء · واما انا فمسكين وبائس اللهمّ تداركني · الٰهي اسند ضعفي بنعمتك · الٰهي لا ترفع عينك عني · يا رب انّ الذي تحبهُ مريض » وقس *

انّ الكبريآء كثيراً ما تسوقنا بعد ان نكون قد اعتقدنا باننا خطاة ولسنا شيئاً الى ان نعظّم

في اعيننا مواهب الله لنا ونعتدّ انفسنا من اجـ
فوق ما نحن عليهِ فلذا ينبهنا القدّيس بولس عـ
هذه النقيصة ويحرّضنا قائلاً : « لا تضمروا فو
ما ينبغي اضمارهُ بل اضمروا بالورع بقدر ما قـ
الله لكلّ واحد من الايمان » (روم ١٢ : ٣) *

لا تنسَ ايها الاخ العزيز انّ ما ينقصك يفو
جدًّا ما عندك وانك اذا نظرت إلى ذاتك
محاباة تجد دائمًا ما يخجّلك ويصغّرك في عينيك
قال القدّيس بوناونتورا : كما انّ اشعّة الشمس
نفذت مكانًا معتمًا تُرينا غبارًا لم نرهُ قبلاً . كذلـ
اشعّة النعمة اذا انارت قلوبنا تُرينا نقائص كثـ
في اشياء قد كنا نعدّها قبلاً كاملة « لنا عيـ
ولا نرى » (مر ٨ : ١٨) *

٤ : « ان يقدر الانسان ان ياخذ شيئًا الّا
يُعطى من السماء » . (يو ٣ : ٢٧) فكلّ عطـ

الحة وموهبة كاملة انما تهبط من فوق من عند
الانوار. (يعق ١ : ١٧) فما الذي لك يا
نا ولم تاخذهُ وان كنت قد اخذت فلماذا
تفخر كانك لم تاخذ» (١ قور ٤ : ٧) *

« فلا تفتخر على الاغصان التي فُسِخت
طعِّمت انت مكانها فاشتركت في اصل الزيتون
دسمهِ. فان افتخرت فانت لست تحمل الاصل
الاصل يحملك. وان كان الله لم يشفق على
لاغصان النابتة من جوهرها فلعلهُ لا يشفق عليك
ضًا فلا تستكبر بل خف» (روم ١١ : ١٧ الخ)

« هكذا يقول الرب. لا يفتخرنّ الحكيم بحكمتهِ
لا يفتخرنّ الجبار بجبروتهِ ولا يفتخرنّ الغني بغناهُ
بهذا ليفتخرنّ المفتخر ان يتفهم ويعرفني اني
الرب الصانع الرحمة والقضاء والعدل في
لارض. فبهذا ما ارتضي بهِ » (ارم ٩ : ٢٣) *

ان اردت ايّها العزيز ان تثبت في ال
وتؤهّب نفسك لقبول هو اعظم منها فدع الافتـ
جانباً « وكن شاكراً لله الاب في كلّ حين
كلّ شيء باسم ربّنا يسوع المسيح »(افسس ٥ : ٠
وابذل جهدك ان تربح بما أُعطيت وا
كان قليلاً « ليتمجّد بك اسم ربّنا يسوع المسيـ
(٢ تسالونيقي ١ : ١٢) *

« ميّز ما هو ثمين فيك ممّا هو بخ
واعطِ كلاًّ لصاحبهِ . اعط ما لله لله واعط
للانسان للانسان فتكون صادقاً مثل فم الرب
(ارم ١٥ : ١٩ ومتى ٢٢ : ٢١) *

اذا مدحك احدٌ لا تبشّ بوجهِ بل احـ
السكوت مزدرياً بكلامهِ وقل في باطنك
يسوع المسيح : « يا ابتاه اجعلهم ان يعلموا
كلّ ما اعطيتني هو من عندك » (يو ١٧ : ٧

٥ : ان كنت تاتي بثمار كثيرة وتسلك سلوكاً
[حـ]ـسناً فاعلم انّ ذلك ليس بقوّتك لانك ضعيف
[بذ]اتك « بل بنعمة الله التي معك » (١ قورنثية
١٥ : ١٠) « انا هو الكرمة وانتم الاغصان من
[يثـ]ـبت فيّ وانا فيهِ فهو ياتي بثمر كثير لانكم بغيري
[لـ]ـستم تقدرون ان تعملوا شيئاً . كما انّ الغصن لا
[يسـ]ـتطيع ان ياتي بثمر من عنده إن لم يثبت في الكرمة
[هـ]ـكذا ولا انتم ايضاً ان لم تثبتوا فيّ » (يوحنا
١٥ : ٤ و ٥) *

فالحيوة الصالحة التي تحياها انت ليست
[حـ]ـياتك بل حياة الكرمة التي تحملك « اننا بهِ
[نـ]ـحيا ونتحرّك ونوجد » (قصص ١٧ : ٢٨) واعلم
[ا]نّ حياتك هذهِ التي تحياها بالكرمة هي هبة من
[فـ]ـضلهِ الكريم « وما من احد يقدر على الاتيان اليّ
[ا]ن لم يجتذبهُ الاب الذي ارسلني » (يو ٦ : ٤٤)

« ومن سبق فأعطى لهُ فيكافأ » (روم ١١ : ٣٥)
« لا يستطيع احدٌ ان يقول ربًّا ليسوع ا
بروح القدس · ولا نقدر من قبل انفسنا ار
نفتكر فكرًا كأنّهُ من انفسنا · (ا و ٢ قور ٣ : ٥
« فان الله هو الذي يعمل فينا الارادة والعمل
على حسب مرضاتهِ » (فيلب ٢ : ١٣) فقل اذر
بعد كلّ عملٍ صالح تصنعهُ : « كلّ اعمالنا انت
عملتها لنا يا رب » (اشع ٢٦ : ١٢) *
٦ : ان شعرت مرارًا بضعفك لزلّاتٍ صدرت
منك او لعجزٍ عن نوال رغائبك الصالحة فل
تتعجّب من ذلك ولا تيأس من الخلاص بل
« افتخر مع الرسول بامراضك مسرورًا بالاحرى
لتحلّ عليك قوّة المسيح لانّ القوّة انما تكمل في
الضعف » (٢ قور ١٢ : ٩) *
من يعتمد على ذاتهِ او على انسان مثلهِ لا يفي

لا ينجح لانّ الله لا يعطي عونهُ لمن يعدّ ذاتهُ غنياً
عنهُ « تعظَّم قلبك فلذلك تموت موتاً يقول الرب »
(حز ٢٨ : ٥ و ٨) فخيرٌ لنا اذن ان نُذلَّل فنشعر
بضعفنا ونحسّ بعجزنا ونستعين بالله اذ اننا نكون
اذ ذاك اقوياء حقاً « بالسكون والرجاء يكون
باسنا » (اشع ٣٠ : ١٥) *

مبارك الرجل الذي يتوكّل على الرب ويكون
الرب معتمدهُ فانهُ يكون مثل الشجرة المغروسة على
المياه فتمدّ على النهر اصولها ولا تخاف اذا جاء الحرّ
بل يكون ورقها اخضر وفي سنة القحط لا تخاف
ولا تزال تثمر (ارم ١٧ : ٧) *

نعم انّ ضعف الانسان مهول وميلهُ الى الشرّ
مخوف غير انهُ بنعمة الله يقوى على كلّ شيء .
فاذن لا تعتمد على فطنتك وبرارتك ابداً بل
اتكل على الرب واصنع الخير لانهُ هو الذي يعطي

الضعيف القوّة والذين لا عزم لهم يزيدهم شجاعة
(اشع ٤٠ : ٢٩) *

امتثل دائماً امام الرب شان رجل جائع فقير
الى عونهِ فيشبعك من خيرات بيتهِ * لانهُ هو الذي
يشبع الجياع من الخيرات ويرسل الاغنياءَ فرّغا
(لو ١ : ٥١) *

٧ : هلمّ الآن ايها العزيز نصعد معاً الى
الدرجة الثانية التي هي التواضع والتي تتوقف على
ان يحتقر الانسان ذاتهُ ويفرح باحتقار الناس لهُ
فانّ من كان في الدرجة الاولى يسهل عليهِ جداً
الارتقاءَ منها الى الدرجة الثانية لانّ من يعرف ذاته
معرفة حسنة استهان بها ولم يبتهج بمدائح الناس
انّ اعتبار الناس لا يؤثّر في نفسٍ قد
رسخت فيها معرفة عدمها وحقارتها . ولذا جاءَ في
حياة القدّيس مار برنردوس المجيد: انهُ كان عظيماً

. اعين الجميع وحقيرًا في عينيهِ فقط *

اننا لا نبلغ الى هذه الدرجة الثانية التواضع الاّ
بهذه الوسائط الثلاث: اوّلاً اذا رفضنا واجتنبنا كرامة
الناس واعتبارهم لنا. ثانياً اذا احتملنا بصبر جميل
احتقار الغير لنا. ثالثاً اذا ساءنا مديح الناس
واعتبارهم لنا *

فاليك بعض اعتبارات تساعدك على التخرّج
في الوسائط الثلاث المارّة بك *

٨ : قال اشعياء النبي : « انّ الله لنفسهِ جبلنا
ولمجدهِ خلقنا وصنعنا » (اشع ٤٣ : ٧ و ٢١)
فينبغي لنا اذن ان نستخدم لمجد الله فقط كلّ ما
بنفسنا وجسدنا من الصلاح « لانّ الاشياء كلها منهُ
وبهِ واليهِ. لهُ المجد الى الابد » (روم ١١ : ٣٦) *

انْ كنا نطلب في عبادتنا وتقوانا واعمالنا
الصالحة مديح الناس واعتبارهم وكرامتهم فليست

عبادتنا شيئاً وكذلك اذا جعلنا التسليات الروحية
غاية عبادتنا بحيث اننا لا نكون عابدين الّا حين
نشعر بعذوبة العبادة وحرارتها . لاننا لا نقصد
اذ ذاك مجد الله بل مجد ذواتنا « الحقّ الحق اقول
لكم انكم تطلبوني لانكم اكلتم الخبز فشبعتم »
(يو ٦ : ٢٦) *

ان الرجل المتواضع لا يطلب مجد ذاتهِ في
عبادتهِ ولا يقصد مجد الناس ومديحهم في الاعمال
التي يعملها لانهُ يعلم انهُ عدمٌ وليس لهُ شيءٌ
يستوجب المدح والاكرام . فجلّ رغائبهِ ان يمجّد
الله بواسطة احساناتهِ اليهِ لا غير وهذهِ هي طلبتهُ
لنمجدك يا رب احساناتك اليّ . لنمجد احساناتك
اليّ في كلّ حين . ولذا لا يحزن اذا اصابهُ من
الناس شرٌ بدل الخير الذي يصنعهُ . ولا يكتئب
من كثرة الافكار التي تشغلهُ وقت الصلوة خاصةً

ن الشعور بحضور الله والتمتع بمناجاته اذا كان
لك يسرّ الله ولا يمنع مجده . بل يجني من تلك
لافكار عينها احتقارًا اعظم لذاته *

بيد انّ محبة الذات تعترض هنا فتقول :
ان تركتُ كلّ شيء لله فما ترى يكون لي »
متى ١٩ : ٢٧) *

فليسمع يسوع يجيبها : « اني لستُ آخذ المجد
ن الناس » (يو ٥ : ٤١) « ان كنتُ انا امجد
فسي فليس مجدي شيئًا . ابي هو الذي يمجدني »
يو ٨ : ٥٤) *

فان شئت ايها العزيز ان يمجدك الاب
مجّده انت باجتنابك واحتقارك كلّ مجد عالمي
كلّ كرامة واعتبار يأتيانك من الناس *

اي مجد اعظم من هذا ان تمجد الله بكل ما
خذت منه وتحتقر مجدًا لا يوجد في غالب

الاوقات الاّ في مخيّلتك او كثيرًا ما يغنى حا
يخرج من افواه الناس . « انّ ابناء البشر
باطلون . ابناء البشر كاذبون . بافواههم يباركون
وبقلوبهم يلعنون » (مز ٦١ : ١٠ و ٥) *

ان اعتبار الناس لك لا يُعطيك شيئًا وافواه
الحسنة فيك لا تزيد صلاحك بل تنقّصهُ ان
أَغفلت عن اعزائها لله تعالى واعتبرت ذاتك من
اجلها اكثر ممّا انت عليهِ فخيرٌ لك اذن ان
تحتقرك الناس وتذملك وتُهينك وتفسّر بالشرّ جميع
نيّاتك « خيرٌ لي اني تذلّلت » (مز ١١٨ : ٧١)

لا تحبّب نفسك الى الناس لانّ من يحبّب
نفسهُ اليهم يبتغي غالبًا كرامتهم ويجتنب احتقارهم
وكلا الأمرين لا يتفق معهما التواضع *

٩ : ما لك والاعتبار ايها التراب والرماد
الذي موضعهُ تحت الارجل . ما لكِ والاكرام ايتها

دودة الحقيرة التي لا يجب ان تظهر الّا لترذل
رفس بالارجل . ما لك والمدح ايّها الخاطىء
شرير الذي لا يستحقّ الّا لعنة الله ومذمّة الناس:
اني اخطأتُ وعوّجت المستقيم ولم يصبني ما
ستاهلهُ » (ايوب ٣٣ : ٢٧) *

ان كنت بارًّا فبرارتك لا توجب لك الكرامة
كن لله علّة برارتك فقدّم اذن له تعالى كلّ كرامةٍ
صيبك من اجل صلاحك . « ليضيء نوركم قدّام
ناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجّدوا اباكم الذي
ي السماوات »؛ متى ٥ : ١٦) *

ثم انّ برارتك لا تصيّرك معصومًا عن اميال
سيئة وزلّات خفيّة ونقائص ظاهرة وشوائب باطنة
كفي وحدها لتجعلنا في كلّ حين مستحقّين الخزي
الملامة . « يا رب لك البر ولنا خزي الوجوه .
لانّنا اخطانا اليك » (دانيال ٩ : ٧ و ٨) *

فاصبر اذن ايّها العزيز على احتقار النا
اياك واستخفافهم بعقلك وآرائك واستصغا
اعمالك ومبرّاتك وسوء ظنّهم فيك وكلّ
يصيبك منهم من الاشياء التي تخفض كبريائ
وتميت رغبتك في الشرف والرفعة لانّك تست
هذه المعاملة من اجل كبريائك عينها ان صر
النظر عن بقية رذائلك ومآثمك *

١٠ : كلّ انسان له مادح وقادح فان ك
ينبغي لك لتبلغ الى فضيلة التواضع ان تص
على ثلب قادحك واحتقاره اياك فلا ينبغي ل
اقلّ من ذلك ان تحزن من مدائح مادح
وتأبى استماعها غير مبالٍ بها *

قال داود النبي « حين ارتفعت اتّضع
وتحيّرت » وذلك لانّ المدح سواء كان صد
او كذباً يُنشئ منه . انّ المدح الكاذب ار

ـناهُ وصدّقناهُ يجاب علينا غضب الله . والمدح
ـصادق ان سُررنا بهِ يخسّرنا اجرنا ويُفسد عملنا
ـذكر انّك قد استوفيت خيراتك في حياتك »
ـلو ١٦ : ٥) *

فلقد احسن اذن من قال : « من مدحني
ـادني » وقد سبق القدّيس بولس فقال بهذا
ـعنى : « امّا انا فانهُ نقصٌ لي ان تحكموا انتم عليَّ
ـيحكم عليَّ يومٌ بشريٌ بل لست احكم انا في
ـسي ايضًا . اذ كنتُ لا احسّ في نفسي بشيء مع
ـي لستُ بهذا مبرّرًا وانما الذي يدينني هو
ـرب . فلا تحكموا بشيء قبل الوقت حتى يأتي
ـرب الذي سيوضح خفيات الظلام ويُظهر افكار
ـقلوب وحينئذٍ تكون المدحة من الله لكلّ واحد»
ـا قور ٤ : ٣ : ٦) *

وفضلاً عن ذلك نذكر دائمًا : « انّ المتعظّم

قدام الناس رذالة قدّام الله » (لو ١٦ : ١٥)
انّ الله هو الذي سوف يحكم بجودة اعـ
ورداءتها فما بالنا نتوقّع احكام الناس وآرا
وننسرّ اذا كانت موافقة لكبريائنا ونغتمّ اذا كا
مذلّلة لها *
اذا كنت تريد ان تعرف هل انّك
احسنت في عمل ما فلا تنتظر ان ياتيك انسـ
ويقول لك في وجهك انك قد احسنت بجيـ
انهُ اذا لا يُقال لك هذا الكلام تعدّ عملك ذ
باطلاً *
اعمل جميع اعمالك لمجد الله لا غير فتكو
كلّها حسنة استحسنها الناس او لم يستحسنوها *
اذا احسنت في عمل ما وسررت بالثناء المقـ
لك عليهِ افسدتَ عملك ذاك وآل الى شجبك
فاستنتج من اضرار المدح وفوائد القدح عـ

ـزن الذي يجب ان يصيبك من اعتبار الناس
ـك ومدحهم وعظم الفرح والسرور الذي يجب
يشملك من مذمة الناس واحتقارهم اياك « طوبى
ـم اذا ابغضكم الناس وطردوكم وعيّروكم واخرجوا
ـاءكم مثل الاشرار من اجل ابن الانسان »
ـالو ٦ : ٢٢) *

ولذلك كان يقول الرسول : « انا ارتضي
ـالشتائم من اجل المسيح لاني متى كنتُ ضعيفاً
ـينئذٍ انا قوي » (٢ قور ١٢ : ١٠) اي: متى كنتُ
ـعيفاً في عينيَّ واعتبرني الناس كذلك فحينئذٍ انا
ـري بنعمة الله التي تحلّ في القلب المتواضع *

انّ المتكبّر يريد ان تعتبرهُ الناس كما يعتبر
ـو ذاتهُ . ولذا يحتدّ ويسمّع اقوالاً خشنة اذا اهانهُ
ـحدٌ او وبّخهُ بعنف . ثمّ انهُ يحزن بعد شعورهِ
ـخطاهِ لا لمجرّد زلتهِ لكن لانهُ زلّ امام الناس فنقُص

اعتبارهُ عندهم · وربّما يطلب ان يبرّر ذاتهُ في
زلّةً أُخرى او يضغن على من اهانهُ فيزلّ ز
ثالثة · فيا لها حالةً يُرثي لها . « يا رب نجّنا ف
هالكنا » (متى ٨ : ٢٥) *

اذا اعتراك في حياتك شيء نظير هذا وان
تطلب التواضع . فاعلم انّ الله اراد ان يجعل
تجسّ باصبعك كبرياءك فتعرف ذاتك . واذا
عرفتها فاياك والفشل اياك وقطع الامل . بل اسر
الى طبيبك السماوي وارجُ منهُ الشفاء « لانهُ
بمعصية الانسان الواحد صار كثيرون خط
هكذا بطاعة الواحد يصير الكثيرون ابرارًا »
(روم ٥ : ١٩) *

لا تحزن اذا قلّ اعتبارك عند الناس لا
الناس اذا اعتبروك نظير ما انت عليهِ فايّ ضر
لك في ذلك · افرح بالاحرى لانّ النا

تبرونك اعتبارك حتى اذا اصطلحت يمجدون الله
لك على نعمتهِ ورحمتهِ اليك . (لو ١٧ : ١٥) *
افرح ايها الحبيب باحتقار يستر صلاحك
قيك من شرور وفخاخ كثيرة ويزيدك حسناً
بهاءً في عيني الله كلما زادك هو ذلاً في عينيك وفي
بين الناس : « انْ عُيّرتم باسم المسيح فطوبى لكم
نهُ يحلّ عليكم ذلك الذي هو روح المجد والقوّة
روح الله » (١ بطرس ٤ : ١٤) *
١١ : اذا اردت الآن ايها العزيز ان تصعد
درجة التواضع الثالثة فاعلم انها قائمة بان
اوي الانسان نفسهُ مع من ليس لهُ شيء وهو
لك خيرات كثيرة ويحتسب نفسهُ عبداً بطالاً
و يعمل اعمالاً خطرة جليلة ويعدّ ذاتهُ احقر
قيع واخطاهم مع انهُ افضلهم واقدسهم : « ليحسبنّ
ل واحد منكم صاحبهُ افضل منهُ » (فيلبي ٢ : ٣)

لعمري ان البالغين هذه الدرجة لنادر
الوجود جدًّا والانسان بدون نعمة خصوصية يُعطي
الله لهُ اذا طلبها منهُ بتذلّل لا يستطيع بقواهُ الادب
والطبيعيّة ان يدركها ويثبت فيها . والحالة ه
تأمّل ما ياتي *

قال القدّيس اوغسطينوس : كما ان العي
لا تستطيع النظر بدون معونة النور ولو كان
صحيحة هكذا الانسان وان كان بارًّا لا يستطيع ا
يعمل عملاً صالحًا بدون عون النعمة « ان لم ي
الرب البيت فباطلاً يتعب بهِ بنّاؤوهُ » (مز ١٢٦ :

قال الرب يسوع : « لستم انتم اخترتمو
بل انا اخترتكم » فليس للانسان فضلٌ على غي
اذ ان ما يجعلهُ افضل من غيرهِ ليس منهُ بل م
جودة الله ورحمتهِ « كفايتنا من عند الله
(٢ قور ٣ : ٥) *

اننا جميعًا اولاد آدم الساقط مُصابون بعاهة
...حدة ومرض واحد. فكلّ ما يصيب الواحد منا
... الشرور او يقتحمهُ من الآثام يستطيع الآخر ايضًا
... يصاب بهِ او يُقدم عليهِ ان لم تكفهِ اياهُ
...ة خصوصيّة من لدن الآب. « بذنب واحد
...ار الشجب لجميع الناس (روم ٥ : ١٨) من اجل
...لك لا معذرة لك ايها الانسان كلّ من يدين.
...نّك بما تدين غيرك تشجب نفسك. لانّك انت
...ي تدين تفعل تلك الامور بعينها » (روم٢ : ١)
نعم انّ الانسان انما باختيارهِ وارادتهِ يتبرّر
...ارادتهِ واختيارهِ يفسد ويتأخّر. بيد انّ استعداده
...ا لقبول نعمة التبرير انما هو موهبة من مواهب
...ولى الكريم كما انّ ثبات هذه الموهبة فيهِ انما هو
...ضًا نعمة اخرى. فعوضًا عن ان نفتكر بفضلنا
... غيرنا ونطلب التقدم عليهِ فلنودّ بالاحرى

الحمد والشكر لله تعالى الذي ابقانا في النعمة و
يسمح بان نخسرها مثل غيرنا فقد طالما استوجب
نحن هذا العقاب . « انظر لطف الله وصعوبة
اما صعوبة الله فعلى الذين سقطوا واما لطفهُ فبل
ان ثبتّ في لطفهِ (بتواضعك) والّا فانت ايض
تُقطع » (روم ١١ : ٢٢) *

١٢ : قال داود النبي : « لولا أنّ الرب
اعانني لكانت نفسي عمّا قليل تحلّ في دا
السكون » (مز ٩٣ : ١٧) فهذا ما يجب ا
نردّدهُ دائمًا في بالنا لنعدّ انفسنا خطاة بل ش
الخطاة بدون اعانة الرب كما يعلّمنا ذلك بولس
الرسول بقولهِ ومثالهِ : « انّ يسوع المسيح ا
جاء الى الدنيا لكي يخلّص الخطاة الذين انا او
(١ طيمثاوس ١ : ١٥) *

لا تفضّل ذاتك على غيرك من اج

رور والنقائص التي تلوح لك فيهِ لانّ من
ح الانسان الفاسد ان يرى دائمًا الشرّ في
رِهِ والخير في ذاتهِ فيفضّل نفسهُ على قريبهِ
ون فطنة وحقّ *
واذا كان الشرّ واضحًا في القريب فلا يحقّ
مع ذلك ايضًا ان تدين عبدًا ليس لك
ضّل ذاتك عليهِ اذ انّ كثيرين من الابرار
طوا لكبريائهم وكثيرين من الاشرار تقدّسوا
اضعهم وتذلّلهم لانّ « القلب المنسحق المتّضع
يرذلهُ الله (مز ٥٠ : ١٩) وكلّ متعالي القلب
س عند الله (امثال ١٦ : ٥) *
اذكر ما حدث لمنسّى وافرائيم وكيف قُدّم
صغر على البكر » (تكوين ٤٨) وخف لانّ
قادرٌ ان يقيم من هذه الحجارة بنين لابراهيم
تى ٣ : ٩) ويطعّم ايضًا الذين لم يدوموا على

عدم الايمان (رومية ١١ : ٣٢) *

من يعلم فضلَ الواحدِ على الآخر غير الله

انّ الفريسيّ احتسب الجدلية اخطأ منهُ و

كانت افضل منهُ بكثير . وكذلك الفرّيس

الاخر احتسب ذاتهُ افضل من العشّار و

كان هذا اشدّ برارة منهُ . والذي اشتغل في ك

الرب منذ الصباح اعدّ تعبهُ اجزل قيمةً

تعب الآخر الذي اشتغل من الساعة الناس

فقط وقد كانت الاجرة واحدة . فيا ما ابـ

احكام الله من احكام الناس الذين ينظرو

الى ظاهر الامور لا غير *

كل انسانٍ يعدّ ذاتهُ افضل من قريبهِ فـ

هو يا تُرى الصادق ? لا احدٌ . « فمن اراد

يكون فيكم كبيرًا فليكن لكم خادمًا ومن اراد

يكون فيكم اوّلاً فليكن لكم عبدًا (متى ٢٠ : ٢٦

فالرجل الصادق الحكيم القدّيس من اعدّ
ـهُ اخطأ الجميع واحقرهم اذ انّ تفضيل الانسان
ـهُ على غيرهِ رذيلة في كلّ آدميّ ومن قهر
ـ الرذيلة « فذاك هو الاعظم في ملكوت
سماوات » (متى ١٨ : ٤) *
« لي النقمة وانا اجازي يقول الرب »
رومية ١٢ : ٩) فدع اذن الحكم لله . والواجب
يك انت ان تحسن الظن بغيرك دائمًا وتمدحهُ
لوص نية عند سنوح الفُرص وتغضّ الطرف
ن رذائلهِ وشوائبهِ وشرورهِ على ان النظر الى
ك امرٌ لا يعنيك وتصوّبهُ الى صلاحهِ ورذائلك
غير *
اطلب على الدوام ان تستمرّ تحت اقدام
جميع وارضَ بهذا المكان فتربح بدلاً من ان
سر فتسلم من خصومات ومعاتبات كثيرة وتكمل

سنّة الفضائل وتعوّض عن تقصيرات كثيرة فضـ
عن ان دينونتك في اليوم الاخير ستكو
اخذتً حالةً بل سيكون لك مجدٌ عظيم اما
الاشرار والابرار يوم يدين الرب الاحياء والاموات

١٢ : اليك الآن بعض مقاصد يمكنك ا
تقصدها لتجتنب بواسطتها الكبرياء وتكتسـ
التواضع فاقصد اولاً ان تجتنب كلّ كلام يـ
لك منهُ مديح واعتبار . ثانياً ان تبغض مد
الناس لك وتفرح بمديح غيرك *

ثالثاً ان لا تعمل شيئاً لمجرّد اعتبار الناس
لك . بل ليكن مجد الله الاعظم غاية جميع افكار
واقوالك واعمالك . رابعاً لا تعتذر عن نقائصك
بل احتمل بصبر وحبور المذمّة والملامة والتوبـ
ان عدلاً وان ظلماً . ولا تبرّر اعمالك بذكر حسـ
نيّاتك اذا لم يكن سبب يوجب التبرير كمـ

ك او مضرّة شخصٍ ثالث او غير ذلك *
خامساً لا تدع مخيّلتك نتيه بافكار الكبرياء
د الباطل كتصوّرها المراتب العالية والوظائف
يعة وافكار الناس فيك واقوالهم الحسنة وما
ه ذلك . وكلّ مرّة تاتيك هذه التصوّرات
دمها لما يزيدك اتضاعاً امام الله بقولك :
رحمني اللهمّ انا الخاطئ » *
سادساً احتسب جميع الناس افضل منك
م لكلّ منهم الكرامة والتوقير الواجبين لهُ قياماً
ورة بولس الرسول : « كونوا محبّين بعضكم
ضاً بالمحبة الاخويّة وفي الاكرام بعضكم لبعض
مين » (روم ١٢ : ١٠) *
انّ هذه المقاصد يمكنك في كلّ يوم من
سبوع ان تفحص ضميرك في واحد منها وتتلو
الاحد الصلاة المدوّنة ادناهُ . او تاخذ قصداً

واحدا من تلك المقاصد ونفحص ضميرك فيه
يوم مدّة من الزمان حتى تحكم العمل به ومن
ننتقل الى القصد الثاني حتى نأتي الى آخر قصد
ولا ريب انك اذا تخرّجتَ على هذا النو
في فضيلة التواضع يكافئ الرب رغبتك و
واجتهادك في اكتسابها بمنحك آجلاً او عاجلاً نع
التواضع التي هي من اعظم النعم واقطع الادلّة ع
الفوز بالخلاص والسعادة الدائمة *

صلاة النفس الراغبة في فضيلة التواض

١٤ : « يا رب سمعتُ صوتك ففزعتُ لا
عريان » (تك ٣ : ١٠) اجل يا رب اني سمع
صوتك يريني سُبُل التواضع ودرجاته ففزعتُ لا
رأيتُ ذاتي عريانًا من هذه الفضيلة الجليلة الم
لديك . « انّ نفسك تبغض الفقير المتكبّر

ـبراخ ٢٥ : ٢) فانا اذن من المبغضين لاني
ر متكبر واحيا بين البشر فرحاً مسروراً
ن رجل غني لا يعوزهُ شيء . فكيف احتملتني يا
ـ حتى الآن وانا في هذه الحال حتى الان وصبرت
ولم تسلمني الى المعذبين *
ويحي لاني لستُ بذاتي الاَّ لجّة مظلمة وارض
ونة وابن رجز وإناء خزي ومزبلة نتنة . اني
يض اعمى اعرج اصمّ اخرس خاضع لانواع
رور . قد دخلتُ العالم بالخطيئة وساخرج منهُ
وت الذي هو عقاب الخطيئة ايضاً . اجل يا
ـ * انّ مآثمي قد تعالت فوق راسي مثل حمل
ل قد ثقلت عليّ . قد انتنت وقاحت جراحاتي
قبل جهالاتي * (مز ٣٧ : ٥ و ٦) فلو اردت
تعاملني بحسب استحقاقي لاستوجبتُ عقاباً عظيماً
ير عظمتك . ولكن ان كنتَ للآثام راصداً يا

رب . يا رب فمن يثبت » (مز ١٢٩ : ٢) و
كنت تنتظر الانسان ان يصير بارًّا لترحمهُ
يُرحم يا ترى *

اذكر يا رب قولك هذا : « انّ الله حب
كلّ احد تحت العصيان ليترآءف على كلّ اح
(روم ١١ : ٣٢) فلقد سمحت بان ابقى
الآن محبوسًا تحت رذائلي وصيرت عليّ لتُظ
نحوي رأفتك بنوع اعجب فلك المجد الى الاب
فارتضِ الآن بان تطلق عبدك من سجن رذ
ولاسيما رذيلة الكبريآء ولا تدعهُ يستمرّ تحت
عبوديّتها اكثر من ذلك . « لانّ وقت الرأفة
حضر » (مز ١٠١ : ١٤) *

اذكر يا رب مواعيدك الصادقة ومراح
القديمة واشفِ نفسي لانّك انت طبيبها وخلاص
ولا ترذل صراخ خاطئ مسكين يعترف بخ

ـتياجهِ الى عون نعمتك . أجل يا رب اسمع
ـاخي وانظر الى دموعي والتفت الى تنهداتي
ـرع الى اغاثتي ولتسقُكَ الى استماعي تلك المحبة
ساقتك الى افتدائي *

واذكر يا رب انك قد خلقتني بعد ان كنتُ
ـماً وارشدتني بعد ان كنتُ ضالاً وفهّمتني بعد
كنتُ جاهلاً وأنهضتني بعد ان كنتُ مطروحاً
ـدتني حين كنتُ واقفاً وسلّيتني بعد ان كنتُ
ـيناً وشجعتني بعد ان كنتُ مجرّباً . وسهرت عليّ
ـن كنتُ نائماً . وشفيتني بعد ان كنتُ مريضاً .
ـلتني فرحاً بعد ان رجعتُ اليك تائباً . فالآن
ـني ادعوك واطلب نعمتك فلا تردّ وجهك
ـي من اجل آثامي بل طهّرني من برصي ولاسيما
برص الكبرياء لانّك تشاء ذلك وقادر على
ـلّ شيء *

اعطني يا يسوع الصالح اعيناً لأعرفك
فاحبك واعرف ذاتي فأحتقرها لاني استحق الاحتق
بقدر ما تستحق انت المجد والاعتبار. اجل يا يسو
ينبوع العذوبة وقوت النفس ونور العقل أ
هذا الاعمى المنطرح على قدميك والصارخ اليك
بكلّ قواهُ واجعلهُ في ما ياتي مؤبدًا في فضي
التواضع لكي يمجدك ويحتقر ذاتهُ ويجلّ قريبهُ قد
ما يجب ذلك عليهِ *

فاستمعني يا رب بجاه قلبك القدّوس الود
والمتواضع في الغاية لكي « ارنّم براحمك الى الد
وأُخبر بفمي عن حقّك الى جيلٍ وجيل
(مز ٨٨ : ٢) * آمين ثمّ آمين *

المظلّة الثالثة

في الصبر حتى القبر

١ : انّي اعترف امامك يا رب باني خالٍ من
ضيلة الصبر مع شدّة احتياجي اليها . فارتضِ
نكلّم عبدك فيها بعض الكلام كما ارتضيتَ ان
ـهُ في فضيلتَي الفقر والتواضع المقدّستين *
قال داود النبي : « ليس يُنسى الفقير الى
د ورجاء المساكين لا يهلك الى الدهر »
ز ٩ : ١٩) . أجل يا رب انّ صبر عبيدك
ظيم وهو الذي يمنح الغلبة للظافرين بجميع
صائب هذا العالم : ولذا قد قلت : « بصبركم
تقون نفوسكم » *
انّك تُكثر من امتحاننا وتحوّطنا بالمصائب
لشدائد من كلّ صوب وجانب فتارةً تبتلينا في

الظاهر وأُخرى في الباطن . تارةً تمتحننا
واخرى علانية بحيث لا يكون فينا شيء الاّ و
جاز بهذه نار التجربة *

انك تريد ان تمتحننا في كلّ شيء ونض
علينا في حوادث كثيرة لكي نؤدّي لرحمت
وجودتك اعظم الشكران بعد ان نكون قد أُبت
بجميع المحن ونجونا من شرور كثيرة . هكذا صار
المسرّة قدّامك وهذا ما استحسنتهُ ووجدتهُ نا
لتقدّمنا الروحي *

فما حياتي اذن الاّ تعاسة مستطيلة تبتد
يوم ولادتي وتنتهي يوم دفنتي وليس في خلال
المدّة وقت لا يزيد تعبي ووجعي . الهي كي
سقطتُ في هذه هاوية الشقاء *

واحسرتي انك يا رب تعلم حسناً الشر
التي تحدق بي مدّة نفيي في سجن الجسد بل

احد عرف شقاوة البشر نظيرك . فانظر اذاً
م حاجتي الى فضيلة الصبر *
لماذا تسكنين يا نفسي في ارض الاعداء .
ت لو كنتِ سلكت طريق الله لكنتِ سكنتِ
رض رائعة فيها بالسلام . بيد انك تركتِ الرب
ك ينبوع المياه الحية وحفرت لك آباراً لا يجتمع
ا ماء ولذا دُفعتِ الى ايدي اعدائك *
٢ : فارجعي اليّ يقول الرب فأقبلكِ *
الهي انّ جميع هذه الشرور قد نزلت بي
كمك العادل من جرّاء خطاياي . اني قد
تُ مع آبائي واراني الآن حاملاً النير الشاق
ي وُضع على جميع اولاد آدم اذ انّ جميعهم
اء رجز « ولو انّ ربّ الجنود ترك لنا بقية يسيرة
رنا مثل سدوم وأشبهنا عامورة » (اشع ١ : ٩)
فمراحمك يا رب واسعة رحبة لاننا لم نفنَ

وجودتك غير متناهية لاننا نحيا ايضا . كنا جمي
ابناء الموت فعاملتنا برحمتك ولم تعاملنا بحس
جرائمنا . رافتك فاقت جميع معاصينا وذكر
اننا تراب وانّ الانسان يشبه عشب الحقل وزهر

اني قلتُ لك يا ابا المراحم هذا الكلام
اعرف شقآئي واعرف علّة كلّ شقآء اي حكم
المملوء عدالة . فاسأل الآن والحالة هذه هل
تعزية في يسوع المسيح عن كلّ ذلك . وان كن
غير مستحقّ ان يعزّيني تعزيةً تامّة فاطلب ا
على الاقلّ ان يعزّيني بعض التعزية *

ومن يستطيع ان يعزّي نفسي غيرك يا يسو
« اني وجدتُ كثيرًا من المنافقين يزيدوني ح
بقصصهم عليّ رواياتهم الّا انّ « ذلك ليس كحس
شريعتك » (مز ١١٨ : ٨٥) *

فيا يسوع ضيف نفسي الحلو ومعز

فضل . يا طلاً عذبا يملأ كلّ حيّ من بركاته
ط يديك واسبغ من السماء بركاتك على ارض
ي الفاحلة . « بسطتُ اليك يديّ . انّ نفسي
كارضٍ محسرة اليك . أسرع فأجبني يا رب فقد
ت روحي » (مز ١٤٣ : ٦ و٧) *

الى اين اذهب بدونك وقربَ من الشيء .
ربّ انك الهي فتعطف عليّ واستجب دعائي .
لك رفعت نفسي فلا ترذلها . واريتك شقائي فلا
صرف وجهك عني . قد اخطأتُ فلا تهملني *

قال لك قلبي : « عيناي تلتمسانك يا رب
لا تتركني » وانت قلت لنا لتعزينا بذاتك :
تعالوا اليّ يا جميع المُتعَبين والثقيلي الاحمال وانا
ريحكم . » (متى ١١ : ٢٨) وقلت ايضاً : « من
كان عطشان فليقبل اليّ ويشرب » . فنفسي عطشى
ليك ولا يزال جسدي يخفق شوقاً » *

يا رب اني اسكن ارضًا قفرةً مهولة لا
فيها . فكما اعطيتني هذه التربة المحرقة اعطني ايـ
ندى العُلَى . لانّ الشقاء الذي يحزنني في هذه الحيـ
ليس بطفيف فاني كيفما توجّهتُ وجدتُ الَمًا وتعبا
فانضرّع اليك ان لا تطلق سخطك عـ
لانّ احزان قلبي تؤلّم احشائي واقوالي مملوءة مرا
بل وجعاً . ها قد بسطتُ صلاتي امامك واريتك
الآن شدّتي . لانّ الشقي كثيرًا ما يتسلّى باظها
شقاءه لاحد اصدقائهِ والجُرح القائح اذا ما انفجـ
قلّ المهُ ويدمل سريعاً . فلذلك أُرينك يا
المراحم شروري *
٤ : قال الرب : ماذا تريد ان اصنع لك
كن صبورًا يا ابني . « اني قد نظرتُ الى مذ
شعبي الذين بمصر فنزلتُ لانقذهم » (خر ٣ : ٧
فاذا ما اجزلتُ لك العطاء فاذكر اسمي لاني

صك وفاديك *
لا تحزن ولا تكتئب لاني ها نذا انا القائل
ا الكلام لموسى : قريبٌ منك ولماذا تحملُ حزنا
ت حاصلاً على روح المشورة . تذكّر اقوالي
واعيدي لتلاميذي فاني قد وعدتُهم قائلاً :
ستُ أَدعكم يتامى . انّي سوف اجيئكم وانا اطلب
الاب فيعطيكم فارقليطًا آخر روح الحق
يثبت فيكم الى الابد » (يو ١٤ : ١٨ و ١٦)
و الذي يعزّي قلوب القدّيسين في ضيقهم
كذا كلّمت رُسلي *
أَجل يا رب انّك قد قلت هذا الكلام
لاميذك ايضًا وقد انجزت فيهم وعدك . ولكن
اعلم كيف يُنجز هذا الوعد فيَّ انا الذي لم
ن معهم *
قال الرب : أَلا تريد ان تكون انت ايضًا

تلميذي *

- : بلى يا رب *

فاذن ما قلتهُ لهم اقولهُ للجميع لاني افب
الكبير والصغير « واني لم اسأل ابي في هولاء فق
بل ايضاً في الذين يومنون بي بقولهم » (يو١٧ : ٠
كلّ من رام ان يكون لي تلميذاً شارك مختار
بجميع الخيرات التي وعدتهم بها *

« ليسوا هم اختاروني بل انا اخترتهم وأقم
لينطلقوا ويأتوا بثمار وتدوم ثمارهم » (يو١٤ : ١٦
انّي كلّمتكم بهذا الكلام لكي يكون لكم فيَّ السا
وتحفظوا انفسكم في الصبر « السلام استودعكم سلا
خاصةً اعطيكم لستُ اعطيكم كما يمنح العالم
(يو١٤ : ٢٧) فكونوا صابرين ومسرورين -
شدائدكم *

٥ : لا تطلب مجانبة الشدّة لانّ الشدّة

ـيق نطهّر الخطايا ونبيد المكابرة ونبعد الطيش
ـتولي حزنا نافعاً وتجعلك تبغض الاشياء العالمية
ـتشبه بي أتريد اذن ان تحرم نفسك من كلّ
ـعِ الفوائد *

– : كلاّ يا رب ثمّ كلاّ *

فهذهِ هي ثمار الصبر الحقيقي على الشدّة . فلا
ـطلب اذن السلام الاّ في الله تعالى . اطلب سلام
ـروح القدس وفرحهُ اللذين لا يقدر العالم ان
ـنحهما *

قلتُ : يا سلام سيّدي يسوع المسيح وفرحة
ـكما تمنحان بني البشر شجاعة ايّ شجاعة وتنسابان
ـي قلوب المختارين بوسائط ما اعجبها . يا سلام
ـروح القدس وفرحهُ انكما لا تمنحان للكفرة والاثمة
ـكن للمتواضعين وخدّام الله الورعين فاخرقا
ـسماوات وانزلا اليّ وافتقدا غالباً نفسي المسكينة

السقيمة في جميع اطرافها . اعطني يا رب ان اعر
بالاختبار عظم حلاوة روح الحكمة والسلام العظ
المذخور لمحبّي شريعتك الذين يشعرون بعذو
الروح القدس *

فانّي احتقر اذ ذاك بسهولة عظمى كلّ الاش
الفانية الارضيّة لالتصق بعذوبة الروح القدس
غير . واذا ما جعلني حبّه ان اجد كلّ شيء خف
فيسهل عليَّ جدًّا الصبر على جميع الشدائد *

وايّ شيء يستطيع بعدئذٍ ان يفرّحني اذا
استغرق ذاك الروح الالهي كل وجودي *

٦ : ليت شعري كم هو عذبٌ روحك يا ر
انك اذ اردت ان تعلن حلاوتك لبني الن
اعطيتهم الخبز اللذيذ خبز السمآء وملأت نفوس
الجائعة من الخيرات الباطنة وارسلت فرّغاً الاغني
المتانفين لانّهم لا يستحقّون تعزية الروح القدس

هذه كلّها يؤتيها روحك الواحد بعينهِ ويقسّمها
كلّ واحد بمفردهِ كما يشآء » (١ قور ١٢ : ١١)
يشجّع ضعفنا ويسلّينا في مسيرنا في هذهِ البرّية
سعة حيث نُفينا *

غير اني اعلم يا رب انّ الساعة التي فيها
ر النفس بعذوبة روحك القدّوس وتعزيتهِ
طنة تشبه الساعة الثالثة من النهار التي فيها فتح
رس فاهُ وبشّر بكلامك بثقة شديدة جدًّا وسكر
خمر جديدة تفعم قلب الانسان فرحًا ومسح
ت النعمة والبهجة مع جميع رفاقهِ (قصص ٢ : ١٥)

فتلك هي الساعة التي عنها قال بولس
سول : « لانّ محبّة الله قد فاضت على قلوبنا
وح القدس الذي أُعطيناهُ (روم (٥ : ٥) اذ
لم نُعطَ روح العالم بل الروح الذي من الله »
قور ٢ : ١٢) *

وقال ايضا : « افرحوا بالرب في كلّ حي
واقول ايضًا : « افرحوا بالرب في كلّ حين
واقول ايضًا : افرحوا لانّ الرب قريب
(فيلبي ٤ : ٤) نعم انّ الرب كان قريبًا منهُ كي
لا وقد قبل من الله نعمًا وافرة ملأَت قلبهُ ففا
على غيرهِ بتسليات غزيرة متواترة في الغ
« سوآءٌ فاضت نفوسنا في الله او تلطّفنا بي
فكلّ ذلك لاجلكم يا احبّائي » *

تلك هي الساعة التي فيها هتف النبي منه
فرحًا فقال : « جعل في فمي ترتيلاً جديدًا نسب
لالهنا . (مز ٣٩ : ٤) تتهلّل شفتاي اذا ما رتّ
لك ونفسي التي فديتها . (مز ٧٠ : ٢٣) ق
وجسمي قد ابتهجا بالالاه الحيّ » (مز ٨٣ : ٢

وكثير من الاحياء عظّموا بترانيلهم هذه سا
العجائب التي فيها شعروا بجودة عطايا الله وكث

ب يا الهي المانح لهم النعمة والفضيلة . انك تعطفت
ام وثقفتهم في الباطن بروحك القدوس *

طوبى لأولئك العبيد الذين استحقوا ان
ركوا بالخيرات السماوية وأحبوا ان يخدموا في
ل والنهار ربًا عذوبته كثيرة ورحمته غزيرة .
حياتهم لم تكن ارضية لكن سماوية اذ انهم
شون بذكر الخيرات الابدية . وقد امتلأوا من
صل خيرات الرب . فيا حبذا لو كانوا يتركون
ـلات تلك الخيرات تسقط لاولادهم اذن لكان
قرآء ياكلون ويشبعون من الكسر الساقطة من
ائد اربابهم *

ولكن للنفس ساعة اخرى هي ساعة الحزن
لألم . فاين هذه الساعة التي قيل عنها ايضًا في
نجيل الطاهر انّ : « هذه ساعتكم وسلطان
ظلمة » (لو ٢٢ : ٥٣) *

يا رب انّ هذا الكلام كلامك واحب
اتذكرهُ مع غيرهِ ايضًا لانّ جميع اقوالك انما قي
وكُتبت لاجلي *

٧ : لقد عبرت ساعة الحزن عليك ايضًا
يسوع فقلت فيها تلك الكلمة الجزيلة الفو
لخلاصنا وهي : « انّ نفسي حزينة حتى الموت
(مر ١٤ : ٣٤) وأضفتَ قائلاً لتلاميذك : «
أتت الساعة هوذا ابن البشر يُسلَّم الى ايدي الخط
ويُصلب ويقتل » وقلت ايضًا : « يا ابتاه لتع
عنّي هذه الساعة » . لا يا يسوع الصالح لا ي
ذلك . لكن هلمّ في هذه الساعة عينها ومت
الشعب لكي لا تهلك الامّة كلّها « لانّ حبّة الحن
(اي يسوع المسيح) ان لم تقع في الارض وتم
بقيت وحدها وان هي ماتت اتت بثمار كثيرة *
فسقيًا لساعة الآلام والاحزان التي فيها خلا

ـسان من الموت الابدي . فليكن مباركًا ومثمرًا
الابد ذاك الحزن الذي نشف دموعًا قد كنا
ـرفها بلا انقطاع على هلاكنا وردّ للمائتين افراح
ـردوس التي كانوا قد خسروها *
اجل يا يسوع الرحيم هذه هي ثمار الآمك
ـدّسة وفوائد الحزن العظيم الذي خضعت له
ـلفا كي ترشد الانسان الضالّ الى الحيوة الابدية.
ـري انّ تلك الساعة التي قلت فيها للجمع :
كانما خرجتم الى لصّ بسيوف وعصيّ لتاخذوني »
ـتكن ساعة فرح وتسلية وسلام لكن ساعة مرارة
ـجع وكآبة . وما اصعب تلك الساعة الاخرى
ـي فيها كان اليهود يصرخون بغيظٍ شديد :
صلبهُ اصلبهُ فانهُ مستوجب الموت واما هو
كان صامتًا ولم يجب روساء الكهنة بشيء » *
٨ : والآن فماذا تشكين يا نفسي وابن صبركِ .

انكِ قد اذنبتِ ومن اجلكِ يتعذّب يسوع . انك
قد اخطأتِ ومن اجلك يُجلد يسوع . انك ق
افترفت اثماً جسيماً لا يُغسل الّا بدم يسوع الزكي
فماذا تعطين يسوع عوضاً عن كلّ ما اعطاك
وبماذا تكافئينهُ عن الحيوة التي بذلها دونك . فا
بذل حياتهُ دونكِ فبمَ تفينهُ *
« آخذ كاس الخلاص وادعو اسم الرب
(مز ١١٥ : ١٣) . نعم القول فاشربي هذه الكاس
انِ اردتِ ان تكوني لهُ من الشاكرين وارشفيهِ ا
آخرهِ *
٩ : قال الرب : أتقدر ان تشرب الكاس
التي شربتُها انا .
أجبتُ : « انّي اقوى على كلّ شيء بالذ
يقوّيني » *
قال : « اشربوا من هذا كلكم اشربوا الخم

مزجتها لكم فاني الحقّ اقول لكم انكم ان لم
وا جسد ابن الانسان وتشربوا دمهُ فليست
حيوة فيكم » لا تقل : « ان هذه الكلمة صعبة
يستطيع احتمالها » انظر اليّ وتأمّل فاني قد
تُ وحدي ثقل النهار وحرّهُ واذا وُجد غيري
حمل احمالاً شاقة فلا يشابهني مع ذلك البتة *
انّي مع برارتي قد دخلتُ في خرم الابرة
رتُ في موحل غامر ولم يكن فيّ خطيئة .
تُ العنب وحدي ولم يساعدني احد من جميع
عوب « على ظهري حرث الحارثون وطوّلوا
اتلامهم » (مز ١٢٨ : ٣) *
انظر الى يديّ ورجليّ فانّي قد صُلبتُ لاجلك .
عل اصبعك في رسم المسامير وجسّ جروحي
اهد سيلان الدم والماء من جنبي *
« قدّموا آنية قلوبكم واجمعوا فيها البلسم

الجاري ودهن الرحمة والنعمة . تناولوا العسل م
الحجر والدهن من اصلد الصخور *

اني قد فتحتُ لكم قلبي فادخلوهُ . وقد طُع
جنبي بالحربة فهلمّوا اختفوا فيهِ *

١٠ : ماذا وجب ان اعمل اكثر مما عمل
ولم اعملهُ . اجيبوني ؟ اثبتوا فيَّ وانا فيكم . احتم
بعض الشيء لاجلي انا الذي احتملتُ كثيرًا لاجلك
اني قد خففتُ كلّ شيء وسهّلتهُ بمثالي فلا تخا
من الصليب الذي ترونهُ *

هلمّوا اليّ يا جميع الحزانى والمغمومين والمحروم
من التعزية وانا اعزيكم . لماذا تخافون في يو
السوء . اني انا محاميكم وسوف اساعدكم ع
احتياجكم الى مساعدتي في زمن الشدّة *

اجيبوني متى أبيتُ المبادرة الى من يرجو ب
ومتى منعتُ ذاتي عمّن يصرخ اليّ . وماذا جاء محر

سفر المزامير وماذا تقرؤون فيهِ : « قريب هو
ب من المنكسري القلوب والمتواضعين بالروح
ص . الصدّيقون صرخوا والرب سمع ومن جميع
قاتهم نجّاهم » (مز ٣٢ : ١٨ و ١٩) *
اني بهذهِ الاقوال احثّك يا ابني على مجانبة
شل وخمود الشجاعة في الشدّة . فينبغي لك
حرى ان تسرّ بالضيقات التي تصيبك في هذا
الم . واعلم انها دليل على حبي لك وبالحقيقة ان
يقات هي الختم الذي بهِ اسم مختاريّ *
افتح الكتاب المختوم والمكتوب باطنًا وظاهرًا
ي بهِ العهد الجديد والقديم . اقرأ وانظر فما تجد
حدًا من قديسيّ قد سلم من المحن وكثرة
هوات والاهانات ولم يضحِ بكلّ ذلك اشهى
ى الله واكثر وقارًا في اعين الناس *
انّ قديسيّ ينجون في الشدّة . وبواسطة

صبرهم عليها ينشرون روائح برارتهم الفائحة *

كيف كانت تُعتبر جودة هابيل لو لم تُمتحن
برداءة قائين . وكيف يعدّ الانسان عفيفاً اذا
يقهر اهواء جسدهِ . فيجب عليهِ لكي يُظهر حب
للطهارة ان يحارب ببسالة ويجتنب نظير يوسف
الفتى العفيف سُمّ اقوالٍ تنفثهُ امراةٌ عاهرة *

١١ : انّ الطاعة الحقيقيّة تبين ايضاً بالاجتها
الذي يفرغهُ الانسان في مقاومتهِ ارادتهُ الذاتيةْ
ولا ريب انهُ يشاركُ ابراهيم الامين بالثناء المعط
لهُ لاجل طاعتهِ *

ومن يخضع لصوت الله احرى مما لصوت
الجسد الخائف دائماً ممّن يقاومهُ يمتلىء بركات
سماويّة *

وماذا اقول عن الارادة الذاتيّة . فاياه
خاصةً تكره نفسي ولا يسرّني شيءٌ مما افسدتهُ

تفسد على السوآء جميع الاعمال الصالحة كبيرة
ت ام صغيرة كما انّ الطاعة الحقيقيّة تطهّر
شيء وتقدّسهُ *
اذا عمل انسانٌ خيراً من تلقآء ارادتهِ نقص
اقهُ بل وكثيراً ما يخطأ امّا اذا ترك عملاً
اً من قِبَل الطاعة عظُم استحقاقهُ لانّهُ يكون
رقي الى احتقار ذاتهِ وانتهى الى يسوع ابن
والى الاقتدآء بطاعتهِ *
ليت شعري ما اقلّ الذين يعكسون اشعّة
مثال الطاعة . لانَّ كلّ انسان يحبّ ان يعمل
يستحسنهُ هو لا غير ومن اجل ذلك نضلّ
*
فاعلم يا ابن الطاعة انّ عمل الشرّ لا يجوز
وامّا العدول عن الخير من اجل الطاعة
المصير الى الكمال *

كما انّ المحبّة الكاملة لا تطلب ذاتها
كذلك الطاعة الحقيقيّة فانّها مستعدّة في
حين لتترك آراءها وأغراضها الذاتيّة *
انك ايّاي تطيع بخضوعك لروسائك
تحيا متى تضحّي ذاتك . قد وهبتك الحيوة
على الصليب لاجلك حتّى تحيا معي اذا متّ
فاميتوا يا اولادي اميتوا ارادتكم و
وحكمتكم الذاتيّة وسائر الاهواء السيئة الجس
اميتوا هولاء الاعداء كلّهم والّا فانّهم يفق
ويكونون لكم بمنزلة مزراق يفقأُ عيونكم
حربة تطعن جنبكم وبمنزلة حيّة ودبّ ينت
امامكم في الطريق . وانّهم لا يدعونكم تنامو
فراش ضمير هادئ بل يسحنون من ق
سلامَ الملكوت لانّهم هم الذين يجعلون الفا
اسرائيل اي في النفس المومنة الثائة

. الله *

اني قد انذرتكم : « تحذّروا واسعوا بفطنة
الايام سيئة واجتنبوا كلّ ظاهر سوءٍ » . اني
ست لكم الاباء مثالاً . واذا كان هذا المثال
ر كاف فأُريكم الانبياء فانّهم هم ايضاً قد
ملوا شدائد كثيرة في هذا الجيل الفاسق *
قال داود النبي : « الحزن والوجع وجدتُ
سم الرب دعوتُ (مز ١١٤ : ٣) احزان
دائد اصابتني الاّ اني لم انسَ وصاياك
مز ١١٨ : ١٤٢ و ١٤١) كثيرة هي بلايا الصدّيق
ن جميعها ينجّيهِ الرب » (مز ٣٣ : ٢٠) *
افهموا جيدًا قوّة هذا الكلام . انّ النبي
ن يُصاب بالحزن والوجع على الدوام بيد انهُ
ان ينجو منهما بواسطة صراخهِ الى الله في كل
قة : « من الحزن دعوتُ الربّ فاجابني »

(مز ١١٧ : ٥) *

وقال ارميا في مراثيهِ : (ص ١ :

« لذلك انا باكيةٌ عيني عيني تسكب مياهاً

قد ابتعد عنّي المعزّي المرجّع نفسي » . « د

ضُحكةً لجميع شعبي واغنيةً لهم النهار أجمع .

مرارات واسكرني بافسنتين . جرش اسناني با

وكبسني بالرماد فزُحزِحتْ نفسي عن الس

نسيتُ الخير وقلت قد بادت ثقتي ورجائي

الرب » (مراثي ٣ : ١٤) *

اسمع هذه اقاويل مراثي ارميا . بيد انهُ

ان شعر بورود التعزيات فأضاف قائلاً . الربّ

قالت نفسي فلذلك انتظرتهُ . طيّب هو

للمتوكلين عليهِ للنفس التي تطلبهُ . فانّ الر

برفض الى الابد » (مراثي ٣ : ٢٤ و ٢٥ و ١

وقال غيرُهما : « الويل لي لاني شابهتُ

اقطف العنب في زمن الخريف ولا يذوق منهُ
شيئاً . طلبت نفسي تيناً اخضر . ان القدّيسين
قد بادوا من على وجه الارض وليس في البشر
قلبٌ مستقيم » *

وكان يتسلّى بهذه الاقاويل : « اني التفت
الى الرب وانتظر الاله مخلّصي . ان الهي يسمعني .
اذا جلستُ في الظلام الرب يكون نوري . اني
احتمل غضب الرب لاني اخطاتُ اليهِ . هو
يرشدني الى النور فأبصر حقّهُ » *

هذه هي شواهد الانبيآء . فانظر كيف انّهم
يشهدون من الجهة الواحدة بانكسار قلبهم وكيف
انهم يتسلّون من الجهة الأُخرى في الرب الههم *

اذكر ايضاً صبر ايوب المثال الجليل في
فضيلة الصبر والنموذج الشهير الذي قدّمتهُ لجميع
القديسيّ تعزيةً لهم *

واذكر كذلك اوجاع سائر القدّيس
واضطهاداتهم ومحنهم فانهم جميعاً ولاسيّما ال
القدّيسين الذين امتحنوا باشدّ العذابات وبو
صبرهم قهروا مضطهديهم *

فاذا تأمّلتَ ذلك تحققت انهُ « لا ي
احدٌ ان لم يجاهد على السنّة » (٢ طيم ٢
لانّ المحارب الشجيع يُعرف في القتال *

اذا رفعنا غارات التجارب وهجمات الش
بطل كلّ انتصار واذا بطل الانتصار بطل
استحقاق اكليل المجد لا محالة *

وهذا ما حمل يعقوب الرسول على
يقول : « يا اخوتي كونوا على غاية من الس
اذا ما وقعتم في التجارب المتنوعة » (يعقوب ا
وقال القدّيس بطرس « وان اصبتم من
البر فطوبى لكم (١ بطرس ٣ : ١٤) وزاد

بلس الرسول : « قد أُعطيتم في يسوع المسيح
س ان تؤمنوا بهِ فقط بل ان تتألّموا لاجلهِ
يضاً » *

فاذا ما تهذّبتَ انت ايضاً بامثالهم وتعاليمهم
سك في باطنك بعروة الصبر ما حييت
اخضع لارادتي في جميع شدائدك وضيقاتك *
من يقدر ان يضرّك ان كنت في الحقيقة
غيوراً على الفضيلة . ها انّ جميع تنهّداتك
معدودة ولا يوجد الم مهما كان خفيفاً بغير
استحقاق وثواب *

فاذا نزلت بك نازلة اذكر انها طريق
القدّيسين المؤدّية الى الملكوت السماوي *
١٣ : وانّها تجعلك شبيهاً بيسوع المسيح
ربّك فتعزّ واشكر لهُ لانك تقدر بها ان
كافئهُ بعض المكافأة *

اني قلتُ لك هذهِ الاشياءَ لانّ من

الشدّة لأَفضل ممّن يعمل اعمالاً صالحة

للناظر انّ لي عبيدًا كثيرين ولكن قليل

يستطيعون الصبر . اذ انهم يفشلون لأَخف

تصيبهم ويسخطون لاهانة خفيفة ويتشكّون

ممّن بينهم واذا وبّخهم احد قدّموا لهُ الف

فحقًّا انّ هولاءَ لا يسلكون سلوكًا حسنًا و

يبعد جدًّا عن الطريق ألتي سلكتها انا مع قد

ان البعض يقولون انّ سلامنا قليل .

اقول : ليس لكم سلام بتّة . لانكم لا تع

التمسّك بعروة الصبر . اجل ليس لكم سلا

مملوُون من محبّة الذات . انكم جسداني

وتسلكون بحسب الجسد . وما سبب ال

والمنازعات التي بينكم الّا اهواؤكم *

فكلّما زاد صبركم زاد ايضًا سلامكم *

« سلامي أُعطيكم . لستُ اعطيكم كما يمنح العالم .
سلامي قائم بالصبر العظيم على الشرور وباحتقار
(اح العالم ولا بدّ من هذين الامرين لمن اراد
يكون خليل الله *
« ما جئتُ لأُلقي سلاماً على الارض لكن
فاً » « انّ السلام يكون على الارض للناس ذوي
رادة الصالحة . اذ انهُ لا سلام للمنافقين يقول
رب » (اشع ٤٨ : ٢٢) *
فاطلب السلام مع الله ولا تطلبهُ مع العالم .
لبهُ بمكافحتك الاهواء والرذائل لا باذعانك لها .
ذا هو السلام المقدّس الصالح الذي بهِ تُسرّ
سي *
١٤ : تذكّر ايضاً في بلاياك انّ جميع الاتعاب
الاوجاع ستنتهي عن قريب وسوف تكون المكافاة
ها ابديّة عظيمة في الملكوت السماوي بالقرب مني *

ثمّ افتكر في هلاك الاشرار وفي عظم عذ
المقبلة . وان كنتَ لا تقدر ان تحتمل الآن
بغاية الخفّة فكيف حالك وعذاب جهنم
المتناهي *

انّك اذا جعلت اصبعك في لهبة نار ف
نستطيع ان تحتمل شدّة الحرارة هنيهةً من ا
فكيف او أُلقي جسدك كلّهُ في جهنّم *

فلا تخف اذن ممّن يقتل هذا الجسد ا
ولا تسخط على من يعاقبهُ لكن خف ممّن اذ
يستطيع ان يلقي النفس والجسد في جهنّم
خف من هذا العقاب واحصهِ وافتكر في
فتبين لك جميع بلاياك كلا شيء . تسلَّ في
ضيقاتك بهذهِ الاقوال : « اصبروا يا اخو
مجيء الرب فانّ مجيء الرب قد قرب (يعنى
العالم يمضي هو وشهوتهُ » (١ يو ٢:١٧) *

من لا يحب شيئاً من هذا العالم يستخف
ة *
١٥ : انّ جميع محبي العالم لفي خداع لانّهم
ون على العدم غير انّ القدّيسين يتوقون الى
راة الابدية ويرغبون في الرحيل عاجلاً . ولا
ون ان يملكوا شيئاً في هذا العالم بيد انهم
ون لهم كنزاً في السماوات *
وتصيبهم مع ذلك مضادّات عديدة فيدافعون
انفسهم باسلحة الصبر . وكثيراً ما يفضّلون
ة من الشدائد والضيقات غير انهم في كلّ
ك يتركون امرهم لي ويلقون همّهم عليّ قائلين :
ابتاه ان كنت تشاء فعبّر عني هذه الكاس
ن لا تكن مشيئتي بل مشيئتك » (لو ٢٢ : ٤٢) *
انّ الرب يعمل ما يشاء في السماء والارض
ر وسائر الاعماق ولذا لا تحدث لاحد بليّة الاّ

بسماحهِ وتدابير عنايتهِ العادلة *

قلتُ : يا رب انّك عالم بكلّ شيء وتعـ
يوافقني اكثر موافقة. انا عبدك فليكن لي كـ
«انّ احكامك حقٌ عادلة جميعاً» انك
هذا وترفع ذاك لانّ جميع اقاصي الارض بيديك
انّك عادل يا رب وحكمك حقٌ. انك
وقدّوس في جميع اعمالك . كلّ شيء
لارادتك وليس من يستطيع ان يقاومك
انت صانع السماء والارض والبحر وكلّ ما
بالسماوات . انك ربّ جميع الاشياء *

فلذا استودعك روحي لانّك انت
ونجاتي وستنقذني من اعدائي الذين لا
يضطهدون نفسي اعني بهم شهواتي ورذائلي
ملجاي في الشدائد وتعزيتي في الضيقات
التي تحدق بي من كلّ جهة وجانب *

يا رب لابدّ لي من الصبر فانهُ حصني الوحيد ·
الصبر انك اخي وللفقر انك حبيبي وللتواضع
سيّدي وابي *
انكم جميعاً احباءَ الرب وقد باركم بفمهِ فيا
لو احببتكم مع جميع عبيدهِ بقدر ما يحبكم
نفسهِ *
فأسألكم بل اناشدكم وأتوسَّل اليكم ان تبقوا
الى آخر نسمة من حياتنا لاننا بصحبتكم نبلغ
يسوع ربنا آمين *

* آمين *

L'ASILE

DES PAUVRES

كتاب

ملجا المساكين من كيد الشياطين

وهو

الكتاب التاسع

من مُنتَخبات الموقّر توما الكنبيسي

الفصل الاول

في احتقار خيرات العالم كافة

« الرب برعاني فلا يعوزني شيء · في مروج
ـرق بربضني » (مز ٢٢ : ١) *
ماذا يخص الانسان من كلّ خيرات الارض
ها غير اللباس والطعام فعلى م اذن يتكبّر ·
اذا مات يترك كلّ شيء ولا ياخذ معهُ غير
ن حقير يستر جثّة النعسة العتيدة ان تُدفن
ها الدود · ويؤدّي حسابًا عن جميع هذه
ات العابرة إن استخدمها كثيرًا او قليلًا
وُهبت لهُ كزاد للسفر ويُطالب بها مع
اء الى آخر فلس *
مهما ارتفع الانسان وأثرى وعظُمت منزلتهُ
زداد من اجل ذلك قداسةً ولا تدوم لهُ

خيراتهُ ابدًا . فانهُ بمقام خادم مستخدم الى
وخاضع لسلطة ربّهِ المطلق وللملك الس
والديّان الاعظم الابدي الذي اعطاهُ ذل
ليربح بهِ اعمالاً صالحة لا لكي يصيّرهُ آلةً
ويتسهّل لهُ فعلها *

انّ ربنا ربّ مملوّ جودة يجازي
الامناء مجازاةً تعادل بل تفوق كثيرًا ا
فانّهُ يعطيهم الراحة الابديّة عن شغل
والفرح الدائم عن حزن قصير واكلي
ابدي عن كلّ اهانة احتملوها لاجلهِ *

٢ : بل انّهُ منذ الآن يوزّع خيراتهِ
غشّ فيعطي لكلّ واحد وفي كلّ مكان
على قدر ما يشاء وبموجب احكامهِ
والعادلة ابدًا . ويحوّل كلّ شيء الى خير ا
والى شرّ وعقاب للاشرار كيلا يتشكّى احدٌ

ـحكام الله لكن من عدم اهليتهِ وكفرانهِ بالنعمة
ـر فيفضّل القريب عليهِ ويفضّل الله على
ـع دائمًا *
قال احد كهنة هولاندة الافاضل في تابينهِ
السادة الاشراف ان سيّدنا الذي كان من
ـآء هولاندة قد مات بعد ان قضى بيننا
ـا قصيرًا يسيرًا جدًّا . وقد كان لهُ بعض
ـال وعائدات سنويّة وها انهُ قد خسرها الآن
يستطع ان ياخذ معهُ شيئًا منها . ولو كان بقي
بعد موتهِ شيء مما ترك لكان احسن التصرّف
ـيّ احسان *
٣ : ثمّ انّ احد الامرآء السريّين اذ ناهز
ـت هتف قائلاً على مسمع ضبّاطهِ المحدقين بهِ :
ـسرتاه لو كنتُ اكون في حياتي راعي غنم لكنتُ
ـت الآن آمن ميتة *

وآخر من ذوي الحسب والنسب
فعادهُ كثيرون طالبين اليهِ ان يكافئ خد
بتذكرةٍ ما وقالوا لهُ : « يا مولانا ما هو
وماذا تعطينا الآن . فأجابهم اذ ذاك قائلا
جميعًا تطلبون فوائدكم وليس منكم من يف
نفسي وانا لا اعلم اين يكون رقادي ومن
هذهِ الليلة » . ثمَّ مات على هذهِ الحال وق
في توبتهِ المتأخرة بطلان وغرور خيرات هذ
السريعة الزوال والفانية كالدخان *

فطوبى لمن كان فقيرًا في خيرات
وغنيًّا في فضائل يسوع المسيح واستطاع في
عمرهِ ان يعيد بثقة هذا الكلام النبوي :
يرعاني فلا يعوزني شيء في مروج الخضرة
لمجد اسمهِ القدوس » *

الفصل الثاني

خمس خبزات يحيا بها الانسان في برية هذهِ الحيوة

...س بالخبز وحدهُ يحيا الانسان بل بكلّ كلمة
تخرج من فم الله » (متى ٤ : ٤)

... انّ الله ربنا ومخلصنا قد كلّم في سالف
...ان قدّيسي العهد القديم بواسطة الناموس
...بياء والآن ايضًا يكلّمنا بواسطة المعلّمين مفسّري
...ب المقدّسة ويعلّمنا ما يجب علينا ان نومن
...كيف ينبغي لنا ان نحيا ونخدم الله *

... فاحبب اذن قراءة الاقوال التي اوحى بها
...الى قدّيسيهِ لاجل خلاص شعبهِ *

... قال احد الكهنة الافاضل لاحد اخوتي : سيّانِ
...ي اذا قرأتُ العهد القديم او العهد الجديد فانّ

كلاهما عمل الله *

واذ كان ذات يوم المعلّم جيرار الجليل
فرضهُ مع تلميذهِ يوحنا سأل تلميذهُ عند
وقال لهُ : أتفهم جيّداً صلاة الفرض .
يوحنا قائلاً لهُ : نعم ولكنني لا افهم الكلّ
المعلّم حينئذٍ وقال لهُ : انّي لأجد في كل
في كلّ كلمة من كلمات المزامير معنًى رمزيًا
نسكيًّا وذلك من فضل الله تعالى والمع
القدّيسين الذين علّموني ان افسّر بامانة
المختلفة *

فاقبل اذن من رحمة الله ونعمتهِ خمس
تجديدك جزيل الفائدة وتساعدك كلّ
لتعيش عيشةً فاضلة في بريّة هذهِ الحيوة
امّا الخبزة الاولى فهي توجّع القلب ع
ما عملنا من الشرّ في هذا العالم . واما الثان

اف بزلاتنا اليومية وتوانينا الجسيم عن القيام
اننا العديد . واما الثالثة فهي خبزة التعزية
ة في الصلاة حين نؤتى رجاء المغفرة وترك
نا . واما الرابعة فهي خبزة الشكر على جميع
سانات التي قبلناها من الله سواء كان ذلك
السراء ام في الضراء *
فليكن مباركًا الى الابد عن جميع هذه الخيرات
الذي رحمته لا تحد ولا يزال حتى اليوم
ل لنا العطاء *
واما الخامسة فهي خبزة الحبور الباطن
خطاف برجاء الغبطة الابدية والتامل في عظمة
المقبل مع الله وجميع قديسيه *
فبارك اذن الرب على هذه الخبزات الخمس
سائر احساناته الغير المحصاة التي منحك اياها
باهرًا جدًا بحسب ثلث انواع الخيرات اي

بحسب الطبيعة والنعمة والمجد الابدي *

الفصل الثالث

في محاربة الجسد مع الروح

« قصّ عليَّ الاشرار اكاذيبهم . انها

نظير شريعتك » *

احفظ جميع حواسّك لئلاّ تسحرك

الشيطان الباطلة الفتّانة . لانهُ ينبغي للانس

يحارب ما دام حيّاً اذا لا يريد ان يُ

بيد انّ تجربتهُ لا تكون دائمًا شديدة قو

حدّ سوى . وعليهِ فاذا نزلتَ انت الى

هذه الحرب فوجّه صلاتك وتنهّدات قلبك

الى الرب الذي في السماوات *

ان الجسد يعطف بالانسان الى ا

الروح فانهُ يرينا طرقاً وعرة ضيقة . ان
الجسد غرور واما الاكاليل فلمن اتبع الروح *
١١ : فتيقظ وكن منتبهاً . احترز على ذاتك
ل جانب لانك حيثما وُجدت إنْ داخلاً
خارجاً فلك ان تخاف نبال الاعداء . لتكن
ح يسوع المسيح مرسومةً في قلبك رسماً بليغاً.
ب حماية يسوع وامهِ في جميع طرقك
هما بمنزلة درعٍ تتدرّع بهِ وبمثابة عصا
عليها وبمقام سيف تحارب بهِ *
لا تحادث مدّة اناساً لا علم لهم ولا فطنة. ولا
تنين ولا السفهاء لانهُ يتسهّل لك بصحبتهم ان
الله *
تحادث واقم بطيبةٍ مع المتواضعين والسذج
ين يحبون الله حقاً . فانها تفيد صحبة الصالحين
ن يتكلمون فيها عن الله كما تضرّ صحبة الاشرار

الذين يتكلمون فيها عن العالم *

فاجتنب المباحثات واطلب المتواضـ

والسكونيين *

الفصل الرابع

في تقلب القلب البشري

« سئمت نفسي الحيوة »

ولماذا · لكثرة الاتعاب والاوجاع وا
التي تنزل بي وتفصلني عن الله *

فما العمل والى اين اتوجه لاحسن
احتمل الصبر وانتظر الرب بثقة فانهُ « قريـ
المنكسري القلوب وينجي المتواضعين بالروح

لمن العدل ان تصيبنا الاوجاع والاحـ
والاهانات والاحتقار لكي نذلل كبرياء

مطامعها *
ذا احتقرتَ فتذكر رذائلك وخطاياك فيبطل
ك واحتدادك . لا احد معصوم من الخطيئة ،
حد طاهر من كلّ دنس ولا احد بريّ من كل
وسالم من العقاب « لاننا جميعاً قد اخطأنا »
لله فانهُ وحدهُ قدّوس غير مائت ابديّ عظيم
ومستحقّ ان يُمدح فوق كل شيء مدى

اور *
فضع كل رجائك وفرحك في الله وكن
ا في كل حين لاحتمال جميع الاحزان لاجل

انّ افراح العالم سريعة الزوال جميعاً وكل
ه مملوء غايات ومكايد . وكل لذّة حسية
عقابها معها وتستوجب الخزي والاحتقار *
من كان ذا ثروة طائلة حصل من قِبَلها

على كثرة القلق والهموم · ومن عرف ان
بالقليل كان في راحة بال عظمى *

من لا يخدم الله فهو شقيّ تعِس ومن
فيفقد كل شيء لهُ . ومن يجعل رجاءَهُ في المخ
وينسى الله فانهُ باطل لا ثبات لهُ *

طوبى لمن يكون الله لديهِ كلًّا في
ويقول مسرورًا مع بولس الرسول : « و
فحاشا لي ان افتخر الَّا بصليب سيدنا يسوع
الذي من جهتهِ صُلب العالم لي وانا ايضًا
للعالم » (غلاط ٦ : ١٤) *

جاءَ في سفر الامثال عن نفس ال
والمتقلّب في خدمة الله : « نفس الكسلان
ولا تحصّل » (امثال ١٣ : ٤) ومعنى ذلك
الكسلان يشتهي ان ياكل ويشرب حسنًا .
يريد ان يشتغل ويصوم · يشتهي ان ينام

يريد ان يقوم باكرًا . يشتهي ان يتحادث
يريد ان يسهر ويصلّي . يشتهي جدًّا اصلاح
الاّ انهُ يابى احتمال ادنى كلمة . يشتهي ان
الناس وهو مع ذلك يهمل اصلاح نفسهِ .
هو كذلك يستحقّ العصا والمخصرة اذا لم
ج من هذهِ النقائص واما مَن يثبت في الفضيلة
يكون مباركًا في كلا الدارين آمين *

الفصل الخامس

في طاعة الراهب الساذج الوضيع

قال الحكيم : « الانسان المطيع يتكلّم كلام
ر » (امثال ٢١ : ٢٨) *

وكيف ذلك ؟ لانّ من يطيع ببساطة يقهر
ويهمل ارادتهُ ليتبع بتواضع ارادة غيرهِ .

وهذا من شانهِ ان يولّد سلاماً عظيماً
عذباً . ولذا فان المطيع يتمتع بسلامة
ويزيد فرح قلبهِ . وينال من لدن الرب
بهِ فلا يعود يخشى الموت لانّ رجاءهُ
في الله الذي لهُ خضع في كل حين و
ان يخضع حتى المات *

انّ الاعمال الصالحة المصنوعة ببساطة
لتسرُّ الله جدًّا وتفوق ما سواها استحقاقاً *

من يخضع ويطع لرئيس او لمن كان
لهُ او دونهُ يغلب ويذعر الشيطان الذي
يسوقنا الى العصيان والاستكبار ومقاومة
بفظاظة . ومن هذه الرذائل ينأتى غالباً
والمشاجرات وشرور أُخر كثيرة تكون
الاخوة والرهبان الساكني الجنان *

ان الربّ يسوع الجزيل التواضع

لكنهُ بخلاف ذلك يدعونا جميعاً الى الطاعة
ة ويقول لنا : « تعلّموا منّي فاني وديع
ضع القلب » *
الانسان الذي يطيع نظيرهُ من اجل الله
الله اعظم تكريم ويسرّهُ في الغاية . انّ
التي نعملها من تلقاء ذواتنا تُعدّ وتُعتبر
بل عدماً واذا عملناها بطاعةٍ سريعةٍ
تضحي لديهِ تعالى شهيّة في الغاية ولو
في ذاتها دنيئة حقيرة كبعض الخِدَم التي
من باب المحبّة لصلاح الاخوة *
٢ : انّ المطيع الحقيقي لا يتأخّر ولا يتكاسل
بل تراهُ في كلّ حين متأهّباً على قدر
ليعمل بمسرّة الله . فسوآءٌ صلّى او اشتغل
او استراح او تكلّم او سكت او جلس او
او كتب او قرأ او دخل او خرج او اكل

او صام فكلّ ذلك يعود الى خيره وا
استحقاقاته بواسطة فضيلة الطاعة . انما
والسلام لمن ظفر بنفسه وكفر بذاته وتزهّد
وخضع لله ولنائبه بطيبة خاطر ومن كل
ونفسه في كلّ وقت وحين حبّاً به تعالى *
فيا ملائكة السماء افتحوا له باب الفر
وانتم ايها الشياطين المتكبّرون ابتعدوا عنه
المقائه ايها الآباء والانبياء واسندوه ايها
والانجيليّون . تضرّعوا لاجله ايها الشهداء والمع
وابتهلن من اجله ايتها العذارى والارامل والخ
العفيفات . هلمّوا هلمّوا اليه انتم جميعاً يا
يسوع المسيح واخوانه الامناء واقبلوا نفس
مسكين متواضع ساذج طائع خذوها معك
خروجها من جسدها وضعوها في حضن
قريباً من لعازر ذاك الفقير القديم الع

ة في سلام يسوع المسيح برجاء وأمن حتى
في اليوم الآخر مع جميع القدّيسين لتنال
المجد الابدي آمين *

الفصل السادس

في ثلاث علامات الصليب المقدّس

* ضعني على قلبك كخاتم » حبّ الهيّ لكي
فوق كلّ شيء وارسم علامة الصليب وجميع
حي المقدّسة على قلبك قبالة نبال العدوّ .
صليبي هو طريق الخلاص ولواء الظفر وهو
منيع يدفع عن النفس والجسد جميع الاخطار *
فارسم اذن علامة الصليب المقدّس على ثلاث
ع خاصة : على قلبك وفمك وذراعيك لتنجو
كلّ الرذائل *

ارسمها على قلبك لكي لا تفتكر افكاراً
بل تتذكر دائماً الله واحساناتهِ اليك ويكون
محميًّا ومصوناً من كل خبث في اتحاد
وجميع قدّيسيهِ *

واختم بها على فمك ايضًا لكي لا تنطق
قبيحة خفيفة ماجنًا فتكون اقوالك جيّدة
نافعة وتصبح عزيزًا شهيًّا لدى الله ومستحبًا
بين ألناس *

واختم بها على ذراعيك ويديك وا
ايضًا لكي لا تعمل شيئًا محرّمًا بل تكمّل
التقوى المفيدة للقريب مباركًا الله على كلّ
وحامدًا اياهُ *

٢: فافتكر اذن بالخير دائمًا وتفوّه بهِ
حيثما كنتَ فتكون حياتك المصونة بع
الصليب المقدّس الثلاث مطابقة لآلام يسوع

لك بصليب يسوع أغلب كل انواع التجارب
هك في اعماق قلبك . فانك لا تكاد تقصد
صالحاً مهما كان الا والشيطان يجهد في منعهِ
لهِ الى شرّ وتدنيسهِ *

فلا تلتفت الى جميع مساعيهِ ولا تبالِ بها بل
بها احتقارك للوحل واستغث بيسوع وارسم
علامة الصليب والتجئ الى مريم العذراء
تحت الصليب . ونحْ وابكِ بين يديها مشاركاً
بوجعها غير مبتعدٍ عن الصليب واطلب ان
وتموت مع يسوع ومريم على هذهِ الارض
ل معهما الى المظالّ الدهرية . امين *

الفصل السابع

في التوجّع والشفقة على الضعفآء

« وقبل كلّ شيء فلتكن لكم مودّة
بعضكم لبعض وذلك انّ المودة تغطّي
الخطايا » (١ بطرس ٤ : ٨) *

لا يُحسننّ احد الظنّ في نفسهِ ويحتقر ال
اذ ليس احدٌ يعرف نتيجة امرٍ هل انهُ يثب
المنتهى . اننا جميعاً ضعفآء وكلنا نحتاج الى
وجميعنا نتوق الى الخير ونكره الشرّ « فكونوا
كما انّ اباكم هو رحيم » (لو ٦ : ٣٦) *

احذر من شدّة التوبيخ لئلاّ ترعب او
او تفقد او تجرح المريض الذي يجب
ان تسلّيَهُ وتشفيَهُ *

« لتفتخر الرحمة على الدينونة » كما

ـب الرسول (يعقوب ٢ : ١٣) وهذا ما
يعلمهُ يقيناً الاب فلوران الكاهن الفاضل
ع ويؤيدهُ بقولهِ : « اني رجعتُ بالرحمة اكثر
الشدّة والخوف » وكلامهُ هذا حقٌ مبنيٌ على
ربنا يسوع المسيح *
٢ : بالمعاملة التي تعامل بها اخاك وقريبك
لك فيما بعدُ قريبك . ذلك قضاء عادل .
كلّ ما تصنع من الخير لأخيك الضعيف
ن الجريح فانما تصنعهُ ليسوع المسيح كأنك
يخدم بوقارٍ الربّ الهُ *
فأفرغ اذن كلّ جهدك وبالك في حسن
ال وقتك ووجّه كل خيرٍ تعملهُ لمجد الله ولا
ب لك شيئاً باعجاب لانّ كلّ ما لك انما هو
من الله تعالى : الكونَ والحيوة والفكرَ
ل والعملَ وسائر الأشياء *

متى طلبت بجميع هذه الخيرات مدح الله
صعدت اليهِ عزّ وجلّ مرتفعاً مع الملائكة
السماء ومتى تطلب مجدك وتُعجب بنفسك
اياها على غيرك فاذ ذاك تسقط سقوطاً عميقاً
وتفقد السماء وتخسر النعمة وتستوجب العقاب
اجل ارتفاع قلبك واستكبارك الذي اضمرته
الشيطان عوض ان تحتقرهُ وتنبذهُ عنك بعيد

لانّ من يرتفع بقلبهِ ويفتخر بنفسهِ يكون
نجساً في اعين الله وملائكتهِ *

واما من يكون متواضعاً حنّاً صغيراً في
خادماً للجميع رحيماً على الفقراء شفوقاً على ال
مسلياً للبائسين مرشداً للضالّين مقيماً للس
مشجعاً للمرتخين فذاك ينال في هذا المنفى من
الله بركةً ورحمة وفي السماء حياة الابد آمين

الفصل الثامن

في المثابرة على العمل الصالح

«امكثوا هاهنا واسهروا معي»

هذا ما قاله ربنا يسوع لتلاميذه حين ذهابه
حل اوجاعه ليموت عنا. فيجب على من دخل
او اخوية ان يتامّل هذه الاقوال وينسبها
كان يسوع المسيح يقول له :
امكث هاهنا واسهر معي. صلِّ وتأهب التجارب
ة اني قد اعطيتُ لك ولغيرك مثالاً في السهر
صلوة لكي تصنع مثلي وتثبت في مقاصدك
الحة : «لان من يثبت الى المنتهى فذاك
ص» *
ان تجارب الصالحين كثيرة بيد ان تسلياتهم
ا وافرة وجميع اوجاع الابرار لا توازي المكافآت

المقبلة في المجد الابديّ *

متى أَقبلت التجربة فعليك بالتأمّل ولا
تاركًا عبادتك بل كن ثابتًا وأَوصِ الله بنفس
طوبى للرجل الذي يستفيد من تجاربهِ وتج
غيره فانهُ بصير فطنًا متواضعًا حليمًا رحيمًا
سموحًا لطيفًا غير محتقر لاحد *

لا تتعجَّب من سقوط البعض ولا تتشكّك
سوء تصرّفاتهم لانّنا جميعًا عديمو الثبات ف
نزلّ عاجلًا وننهض آجلًا . واذا لم يساعد
دائمًا بنعمتهِ تعذّر علينا القيام والثبات و
اعدائنا ورذائلنا ولكنّا بمساعدتهِ تعالى نقوى
كلّ شيء اي ان نبتدئ ونداوم ونكمّل *

٢ : فتيقظ على ذاتك كلّ التيقّظ ا
تعالى وَجَد الرداءة في ملائكتهِ وقد
الانسان الاوّل في الفردوس مغلوبًا ومسحورًا

. والأُمَّة الاسرائيلية هلكت في البرية لتقدمها
ا ونطلبها لحوم مصر . ورسل المسيح
نهُ مع وجودهم بصحبة يسوع واستماعهم
لهُ زلّوا وخطئوا . فكانوا يتساءلون من منهم
الاول والأعظم في ملكوت السماوات .
هم يسوع بلطف واسكتهم وأراهم بأقواله
له ان لا يطلبوا الاستكبار بل ان يخدموا
م بعضاً بتواضع ويحبوا بعضهم بعضاً ببساطة

*

فعسى ربنا يسوع المسيح ان يعطينا ان
هذه التعاليم ونعمل بموجبها آمين *

الفصل التاسع

في انواع مكايد العدو الجهنّمي

« قاوموا الشيطان فيهرب عنكم بعيداً »

وكيف ذلك ؟ بالايمان والصليب

وبايّ اسلحة ? بالسهر والصوم وشغل

وصلاة الليل . وبالقراءات المقدّسة والتاملا

الورعة . وبالفقر والعفّة . وبالتواضع والسذ

وبالسكوت والابتعاد عن الاحاديث البا

وبالاختلاء والابتعاد عن ضوضاء العالم . وبا

للحزانى والصلوة لاجل الاعداء . وبالطاعة ا

والصبر الغير المَقُول . وبمحاربة الرذائل ا

والثبات في جميع الفضائل والكفران بالم

واحتقار الكرامات والمدح والعليا *

لان من يداوم بمحبة وثبات على

ل وعلى بقية اعمال التقوى ورياضاتها يسرّ
ناً ويقاوم الشيطان بقوّة *
ان لبُغض الشيطان وسائل ومكايد كثيرة
بها الرهبان خاصةً ويُخيفهم ويقلقهم بحيث
يحيا احدٌ آمناً من فخاخهِ حيثما كان وفي
ظيفة او دير او اخوية وجد *
فماذا يجب ان نعمل ؟
علينا بالالتجاء الى الله والصراخ الى يسوع
كاء والنحيب لكي يساعدنا دائماً ويقوّينا
سنا ولكي تقودنا نعمته بلطف بعد كثرة
طار الى مقرّهِ حيث السلام الحقيقي الابدي *
٢ : ليت شعري ما أحسن وما أعقل صنيع
يترك جميع الاشياء الارضية ويعرض عن
ق الخطيئة ويختفي في الخلوة بعيداً عن امور
لم . ويا ما انفع ويا اجزل فائدةَ درس من

يتروّض كلّ يوم في تأمّل حياة يسوع
والآمهِ ويجتنب كل المباحث الغريبة والغر
التي تشغلهُ عن الله وعن الاشياء الباطنة
يُكثر الافتكار في عواقبهِ الاخيرة *

لعمري انّ من يقتدي بورع بامثلة
وقدّيسيهِ في التواضع ويعدل عن طُرق ا
الرحبة هاربًا منها هو عبد حكيم امين
الشيطان ينصب فخاخهُ للاغنياء والعظام
فيخدعهم ويهلكهم بالكرامات والملذّات *

انّ الفقراء والسذّج هم اعتياديًّا في
أمن من تهدّداتهِ اخزاهُ الله بيد انهم ليسوا بس
من كلّ خطر لانّهم اذ يشاهدون جماعة ا
يزهون في العلم ورفاقهم يسبقونهم في ال
يشتهون مناصبهم ويحاولون البلوغ اليها بو
جائزة *

غير انّ يسوع المسيح يقول بخلاف ذلك
تعليمًا افضل بهذه الاقوال : بيعوا مقتناكم
ه للمساكين . لا تكنزوا لكم كنوزًا على
حيث كلّ شيء يبلى بل اكنزوا لكم
زًا في السمآء حيث كلّ خير يدوم الى الابد » *
فاهرب اذن من العالم واتبع يسوع المسيح
نجو من الجحيم وندخل السماوات مع فاديك
*

الفصل العاشر

في تُرس الارادة الصالحة لدفع العدو

التُرس والمجَنّ يكون الك حقّهُ فلاتخشى من خوف
ولا من سهمٍ يطير في النهار» (مز ٩٠ : ٥) *
انّ الرب يسوع هو الطريق والحقّ والحيوة

والخلاص والقوّة والحكمة وهو يكون معك
يمينك وعن شمالك وفي جميع قراءاتك وزيا
لكي تدوم مثابرًا على تسابيح الله بفرح و
ويكون هو عونك وحارسك وحصنك المنيع
جميع أعدائك الشريرة *

قال بولس الرسول : « ان كان الله
فمن يكون علينا » *

اتريد ان لا تخشى العدو . فاحبب
يسوع لانك كلّما زِدتَ حباً لله تعالى از
احتقارًا للعالم وزال خوفك من الشرّ *

ان محبّة الله لا تخاف الموت ولا الشيط
الجحيم . فاعتصم اذن بدرع الارادة الصا
محبة الله فتبطل مخاوف العدو وحيلهُ *

٢ : ان الارادة الصالحة تكره الشر
من الاثم على قدر وسعها وتنبذ الرياء ولا

وتهرب من الكذب وتبغض الاباطيل وكل
الف الآداب *
ان الارادة الصالحة تعمل بسرّة الله وتحب
ح والبر والحق والعدل وتطلب على الدوام
الله بنية طاهرة في كلّ عملٍ صالح وقولٍ
وفي كلّ مكان وزمان ما عاشت على
ب *
انّ الارادة الصالحة تفرح مع القريب
حهِ وتحزن معهُ على شرّه وتساعدهُ في
جاتهِ وتطلب لهُ غفران زلّاتهِ وتغفر لمن يسيء
وتشفق على المرضى وذوي الاسقام وترشد
ين بمشورات صالحة *
ان الارادة الصالحة الكاملة تجعل الله نصب
دائمًا ولا تطلب في جميع اعمالها وافكارها
حة سوى مسرّتهِ تعالى وتحبّ بالقلب والفم

نجاح الغير كأنهُ نجاحها وتكفر سريعاً
وتحتقر المدح وتجتنب الذِكر وتعتبر كلّ ما
من الله باطلاً وتجعل سعادتها في التواضع
٣ : ايّها الأخ العزيز المسكين المريض
لا تضعف عزماً حين الشدّة والوجع لانك
اذ ذاك مع يسوع المسيح بالصليب ومع القد
بالسلاسل والسجون . فاحتمل بصبر وبلا
ألمك الخفيف اذ انك لا تقدر ان تحتمل
بفرح نظير كثير من القدّيسين *
واحتمل على القليل التوبيخات الخفيفة ا
في الغاية اذ لا نستطيع احتمال ضربات في
الشدّة والثقل . احتمل لاجل يسوع المسيح
المضادّات القليلة . فانّ العالميّن يعانون
واشدّ منها لاجل العالم *
اياك وان تخسر ثوابك بعدم الصبر

في كلّ ساعة من النهار ان تستحقّ ملكوت
لمجد الابدي بانقيادك لهُ تعالى بورع *
ذا دهمتك الاوجاع والشدائد فضع بازائك
سوع المسيح فيتيسّر لك احتمال جميع الاثقال
ضيق عليك *
ليس احد في هذا العالم يحيا ولا يصيبهُ حزن
سهِ او في جسدهِ وليس احد تحت السماء بلا
ولا وجع. كلّ منّا هو لذاتهِ ثقل وصليب
كان وحدهُ او مع غيرهِ وسواء اشتغل او لم
ل *
فلا بدّ لنا من نعمة الله ومن صبرٍ جميل
وظاهرًا يكونان للارادة الصالحة كترس منيع
بهِ نبال العدو ورذائل الجسد وغرور العالم *
تدرّع يا خادم الله باسلحة يسوع المسيح وجاهد
جهاد جنديّ باسل امين متمسّكًا كلّ التمسك

بالمصلوب *

انّ حياة يسوع المسيح كانت كلها
وهكذا يجب ان تكون حياتك لانّ الرب
بنفسهِ قال : « من اراد ان يتبعني فليحمل
ويتبعني » الى ملكوتي *

الفصل الحادي عشر

في تسبحة الله بكلّ عمل صالح

« باركي يا نفسي الرب »

اصنع كل عمل صالح لمجد الله واذا ا
في فكر او قول او عمل فقل عند ا
« الحمد والشكر لله » *

انك بدون نعمة الله لا تقدر قطعاً ان
عملاً صالحاً ولا تقدر ان تبتدئ وتكمّل اي

من اعمال الصلاح والاستقامة والفضيلة *
فلنبعدنّ اذن عنا الكبرياء والاعجاب والمجد
ل . ولنقبلنّ على الصلوة الوضيعة والتامل
ع وافعال الشكر وترتيل التسابيح بدون
ع *
٣ : كيف يبلغ الانسان الى طهارة القلب والى
؟ اسمع ليس في الجواب اطالة واحفظ جيدًا
اية المزمور :
حِد عن الشر واصنع الخير » (مز ٣٣ : ١٥)
احفظ قلبك من التخيلات السيئة ولسانك
الاقوال المضرة ويديك من الاعمال المحرمة
ذا الرجل الذي ينال بركةً من الرب ورحمة
الله خلاصهِ » *
فافتكر في الخير وتفوّه بهِ واصنعهُ دائمًا
حياتك في سلامة ضمير صالح *

السلام لكلّ انسان صالحٍ متواضعٍ بسيطٍ زاهدٍ طائع حتى الموت . الويل لكلّ شرير ظالمٍ خادعٍ خبيث متكبّر غير ط فانهُ لا يضرّ احدًا مثلما يضرّ نفسهُ *

الفصل الثاني عشر

في رذيلة المجد الباطل واعجاب المرء بنف

قال الوضيع ربنا يسوع : « لا تستكبر فيا ايّها التراب والرماد الحقير لا تفتخر اذا كنتَ صالحًا لانك لا تعرف هل تثبت او تسقط *

قال بولس الرسول لاهل رومية : تضمروا فوق ما ينبغي لكم اضمارهُ بل ا بالورع » « ولا تفتخروا بصلاحكم لئلا تسقط

* *
ان الله يقاوم المتكبرين ملائكةً كانوا او
لما يرتفعون ويعتمدون على انفسهم ويفتخرون
هم *
واحسرتي انّ الكبرياء تنصب فخاخها للجميع.
ساء والمرؤوسين للرهبان والعالميين . ان
ياء لداءٍ معدٍ تنساب عاجلاً جدًّا الى قلب
سان وتتهدد العفيفين والورعين والابرار
ديقين والعلماء والمقتدرين *
٢ : ايّ انسان يقدر ان يفتخر بعفةٍ هذا
يا بحيث انهُ يحيا سالمًا من كلّ دنس؟ يقينًا
حدَ *
فيا يسوع الهي انك وحدك قدوس ووحدك
متعالٍ فوق الكل ومباركٌ قبل جميع الملائكة
يسين وفيهم وفوقهم جميعًا مدى الدهور.

فاليك ابتهل يا يسوع الحلو ربّي والهي « ان
نفسي لانّي اخطأتُ اليك اخلق فيّ قلبًا نقيًا
كلّ مآثمي » لكي اصير طاهرًا بكلّيتي واوفـ
ذاتي بكلّيتها واكون شهيًّا محبوبًا في عـ
وحقيرًا مرذولًا في عيني فاجد نعمة و
امامك وامام جميع قدّيسيك الان والى الابد

الفصل الثالث عشر

في حروب الاشرار المختلفة وصبر الانقيا

« قد كثر الذين يبغضوني ظلمًا . يا
انقذني من المحيطين بي » *

لابدّ لك من الصبر ومن نعمة الله
لتقوّيك في الباطن والظاهر وفي كل زمان و
لانّ في العالم حروبًا كثيرة وتحت السما

ا والمًا البًا وليس راحةٌ الّا في السمآء *
من يمكنهُ ان يحصي جميع شرور العالم واحكام
الخفية . من يستطيع ذلك غير الله وحدهُ
العادل القوي الصبور المنتصر على شرّ
والمُفيض انوارهُ وامطارهُ على الابرار والاشرار*
ليس من يختبئ من حرارتهِ وضوئهِ . ولا يسلم
من دينونتهِ او يهرب من بين يديهِ « عينا
في كلّ مكان ترقبان الاشرار والاخيار »
ال ١٥ : ٣) *
فقل مع داود النبي : « عيناي الى الرب في
حين لانهُ يجتذب من الفخّ رجليّ » (مز ٢٤ : ١٥)
ف قائلاً : « اولا انّ الرب نصرني لأوشكت
ان تحلّ في الجحيم » (مز ٩٣ : ١٧) *
ان كنتَ تريد ان تسلم من الغشّ والمكر
ضطراب فلا تضع رجاءك وسلامتك في انسان

او في خليقة من خلائق السمآء والارض . لا
سلامة الّا في الله الحيّ الحقيقي الابدي الغير الم
في الصلاح الذي خلق كلّ شيء من العدم و
كل شيء بعدالة احكامهِ *

الفصل الرابع عشر

في الابرار وشرّ الاشرار

« أَفِض اللهمّ خيراتك على الصالحين وعلى الم
القلب »

يا رب طوبى للرجل الذي يسلك ا
ببرارة ويطلبك بحسن البساطة وخلوص
طوبى للرجل الذي يقصد قبل كل شيء وفي
من اقوالهِ واعمالهِ حمدك ومجدك وكرامتك و
ويخضع لارادتك في كل شيء ولا يختص بشي

ولا يرغب في قنيةٍ ما *
ليكن يسوع في قلبك دائمًا وفي كل مكان
لتعب والراحة . كن متأهبًا على الدوام في
والنهار لكلّ عمل صالح بلا رياء ولا تذمر
ليق بخادم الله الوضيع *
« ليس كذلك الاشرار فانهم كالغبار الذي
هِ الريح » ولا يجعلون خوف الله نصب عيونهم
حبتهُ تعالى في قلوبهم *
فماذا يوجد بينهم ? بينهم كل انواع الظلم
اجرات والمخالفات والكبرياء والحسد والبخل
ر والاثم . هذه هي حياة الاشرار الذين لا
ون يرتكبون الشرّ ويعذبون الصالحين والسذّج
انّ في ذلك ثوابًا للصالحين وعقابًا للطالحين
لك ايضًا يتقدّم الاخيار في الفضيلة ويبلغ
ار منتهى شرورهم *

فاعطِنا يا رب ان نثبت في الفضيل
الصالحين . آمين *

الفصل الخامس عشر

في حسد الشيطان لخلاص البشر

« انّ الموت دخل العالم بحسد الشيطان

ان الخصومات والفتن الدائمة بين ا
تتولّد من الحسد . وبما للشيطان عدو ا
اللعين ورئيس الظلمات وسلطان جميع
الكبرياء فانهُ لا يزال يجرّب ويقاوم الى الآن
الله الامناء *

انهُ زرع الفتنة بين الملائكة في السماء
الانشقاق بين الله والانسان في الفردوس .
آدم وحوّاء اللذين استمالهما الى الخطيئة . وهو

قائين الى الانفصال عن اخيهِ وقتلهِ وحمل
على بغض اخيهِ يعقوب *
٢ : انهُ اخزاهُ الله يطوف كلّ يوم في العالم
ويجول بالتهكم والنميمة بين الرهبان
لمين وبين الكهنة والشعب وبين العلماء
لاء وبين الحكماء والاغنياء *
انّ بغضهُ يعمّ كل انسان متكبرًا كان او
اً قويًّا او ضعيفًا . كبيرًا او صغيرًا حسينا او
. شيخًا او شابًّا شريفًا او حقيرًا . رئيسًا او
سًا مسافرًا او غير مسافر . متعبدًا او مترفًا
نًا او مهذارًا . بسيطًا او محتالاً صدوقًا او
وبًا . فهولاء جميعهم وكثيرون غيرهم صالحون
لحون يسعى بينهم الشيطان باذلاً كل جهدهِ
ن يستميلهم الى الشرّ ويردّهم عن الخير *
فليرتضِ ربنا يسوع المسيح الذي قهر رئيس

هذا العالم بصليبهِ وافتدانا من يدهِ بدمهِ
ان يحفظنا ويكفّ عنّا اذى ابليس اللعين آ

الفصل السادس عشر

في اسلحة يسوع المسيح وقدّيسيهِ لقآء الر
« البسوا سلاح الله كلّهُ لتقدروا على المقاو
اليوم الشرير وتثبتوا كاملين في كل شيء (
٦ : ١٣) لانّ من يثبت الى المنتهى فذاك يخ
اذا سقط احد واخطأ في شيء فاياهُ
الامل . ليندمْ حالاً ولينهض . ليزدد تحفّ
نفسهِ وليكن افضل ممّا كان *
فيا لها مشورةً صالحة ويا لهُ دوآء
يسند الانسان تجاه الشرّ في الكلام والعمل
المجاهد منّا والتائب باستحقاقات جزيلة

س بافراح الابد بعد هذا المنفى *
ولذا لمّا كان المخلص ينذر الناس بملكوت الله
ار العالم قال لهم : « توبوا فقد اقترب
ت الله » وزاد قائلاً : « بمكيالٍ صالح مملوء
ر فائض يلقون في حضونكم » (لو ٦ : ٣٨) *
٣ : انّ اسلحة جنديتنا ليست بجسديةٍ خارجيةٌ
روحية باطنية وهي المواهب واعمال المحبة
التواضع والتأمّلات والدموع والاصوام . فاذا
ا بعبادةٍ باسم يسوع ومريم وجميع القديسين
لنا هذه الاسماء المقدّسة بمثابة اسلحة من ذهب *
نّ خادم الله المسكين الوضيع يتسلّح بالصليب
مير والحربة والجروح الخمسة الكريمة وسائر
ات يسوع المسيح المرسومة في ذاكرته . اما
الكتاب المقدّس وكتب المعلمين والحقوق
ونة ورسوم القانونيين وقوانين الرهبنات

وصلوات المتورّعين وحياة المتواضعين وام
الطاعة فانّها اسلحة من فضّة *

واما اسلحة النحاس والفولاذ فهي جهاد ا
القدّيسين وعذاباتهم الشديدة من اجل صحّة
وردم الاصنام الباطلة وتعظيم اسم يسوع
المصلوب ورفعهُ فوق جميع القوّات وشرور
وفوق شموس السماء *

٣ : واما اسلحة الحديد فهي المسوح وا
والاشغال الشاقة التي يخترعها التائبون
بها اجسادهم والسهر المستطيل وكثرة ال
والدموع المرّة المنسجمة على خلاص النفس
القيظ وبرد الشتاء وسائر اوجاع الجسد
الفائقة لقمع رذائلنا وذبّ اسهم الشيطان ع

واما اسلحة العذارى والارامل والسيّدا
العفّة والحياء والسكوت والتواضع والا

ة والقناعة والامساك عن افراح العالم
والاقامة في البيت والابتعاد عن الامكنة
ة وصيانة القلب واللسان المحكمة في كل عمل
ن ومكان *
يا ايها الرب يسوع الجزيل الرحمة البسنا
لاسلحة واحمِنا من الاخطار التي يتوعّدنا بها
لكي نستحقّ البلوغ اليك بلا عائق ولا مانع
ة قدّيسيك . آمين *

الفصل السابع عشر

في منفعة الصلوة المتواترة

* أَسكُبُ امامهُ أنيني وبشدّتي قدّامهُ أُخبر *
ان وأَوان (مز ١٤١ : ٣) *
حينما كنتَ اتّخذ لك صلوةً مقدّسة قصيرة

او طويلة وفقاً للزمان تلهج بها وتتسلّى ب
واعادتها *

ان خادم الله الورع يجد كلّ محل
الصلوة وكلّ وقت كافياً لاتقان التاملّ
مكتوب (وكلّ يوم يقال في القدّاس) «
والارض مملوّتان من جلال مجدك أوصف
العُلى» *

ان كنت تريد صلاةً مستوعبة ثما
قصرها فقدّم لله قلبك بكمالهِ وقل لهُ ه
« ايّها الرب الساكن في السمآء اتوسّل اليك
تخلصني وتباركني وتقدّسني وتكمّل فيّ ارادتك
الدوام» *

اذا جعلت الله والفضيلة والكُتُب ا
موضوع افكارك واقوالك واعمالك الصالح
وأتقنت العمل واحسنت ادراكهُ وكنت

دائمًا اصبحت تلك الافكار والاقوال
باسرها صلوةً وابتهالاً نقرع بها باب
ونطلب الرحمة وننال النعمة والمجد *
قصدت في صنيعك هذا مجد الله
الملائكة وتضطرب الشياطين [ويستفيد
مع اخوتك واخواتك الذين تسوقهم الى
وة بمثابرتك عليها *
٢ : فلا تملّ من الصلوة والشغل والتامّل
ستثقل خدمة الرب الملك . لتنهض معك
وة في الليل ولتسهر معك مترنّمة بالالحان
. لتسرح معك في رُدهة النوم ولتسبقك
ك في المحراب لتجلس معك في المطعم ولتكن
ك في محلّ التكلّم *
خلاصة لترافقك الصلوة حيث كنت ومهما عملت
حيث ذهبت لكي يتمجّد فيك الثالوث الاقدس

الفصل الثامن عشر

في بعض نوافذ نرمي بها عدونا بمثابة اسهم

بكلمة الرب صُنعت السموات وبرو

كلُّ جيوشها » (مز ٣٢ : ٦) *

انّ كلمة الله هي للنفس المومنة ترس

وحربة حادّة تكافح بها العدو . انّ مح

العدو القديم عديدة . والخيالات التي يص

للورعين والسذَج والمتواضعين كثيرة لا

عددها . بيد انّ يسوع المسيح قوّة الله

يقدر على كلّ شيء في السمآء والارض ويمكن

واحدة ان يغلب الشيطان ويسحقهُ تحت

اوليائهِ *

فاذا فاجأَك خوفٌ فصلِّ قائلاً : « ك

يا ربّ برُجاً حصيناً في وجه العدو » (مز ٦٠

واذا شعرت بشوكة جسدك الفاسد فصلِّ
: « اقشعرّ جسمي من خوفك ومن
انك جزعتُ » (مز ١١٨ : ١٢٠) *
واذا انساب اليك بعض ظنون سيئة فصلِّ
: « قلباً نقيّاً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً
في باطني » (مز ٥٠ : ١٢) *
واذا ضيّق عليك حزنٌ ردىءٌ فصلِّ قائلاً :
دد لي سرور خلاصك وبروح عاتق
دني » (مز ٥٠ : ١٤) *
واذا نفخ فيك المجد الباطل صلِّ قائلاً :
لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك اعطِ المجد »
مور ١١٣ : ١) *
واذا عذّبك اليأس صلِّ قائلاً : « يا ربّ
متّكلي منذ حداثتي ومن بطن أمّي انت وليّ »
٧٠ : ٥ و٦) *

واذا استولى عليك الضجر صلِّ قا

« اسندني فأتخلّصَ وألتفتَ الى فرائضك

حين » (مز ١١٨ : ١١٧) *

واذا اضناك النعاس صلِّ قائلاً : «

عينيّ لئلاَّ انام نوم الموت لئلاَّ يقول عدوّ

قويتُ عليهِ » (مز ١٢ : ٤) *

واذا اردت مقاومة الفتور صلِّ قا

« أيقظ جبروتك وهلمَّ لخلاصنا (مز ٧٩

ثبّتنا في اقوالك لئلاَّ نضعف في طريقك »

واذا شقّ عليك الشغل صلِّ قا

« انظر يا ربّ الى تواضعي وتعبي وانسَ

خطاياي » (مز ٢٤ : ١٨) *

واذا ازعجك الغضب صلِّ قائلاً : « ا

رب عبدك صبراً وسلامةً لئلاَّ يفقد اكليل

السماء لانك قد قلت بصبركم تقتنون نفوس

* (١٩ : ٣١

واذا غرتك الرغبة في الكرامات وفي
ب رفيع واتعبتك فصلِّ قائلاً : « أَمل
الى شهاداتك لا الى الربح . اردُد عيني عن
تنظرا الى الباطل وفي طريقك احيني »
* (٣٦ : ١١٨

واذا شعرتَ بهوى الشراهة في الاكل والشرب
ك بهذه الصلوة : « انّ ملكوت الله ليس
ما وشرابًا بل برٌّ وسلامةٌ وفرحٌ بروح القدس
ومية ١٤ : ١٧) انما الروح هو الذي يُحيي
سد لا يغني شيئًا » (يوحنا ٦ : ٦٤) *

واذا تحرّكت فيك الرغبة في استماع الحوادث
يدة او في رؤية مناظر جميلة فصلِّ قائلاً :
ا مجيدة ابنة الملك في خدرها » (مز ٤٤ : ١٤)
كلّ شيء حقير زائلٌ وكلّ ما في العالم

باطلٌ مهما كان حسناً ولا تجد شيئاً بسيطاً
ثابتاً غير متناهٍ الّا في الله تعالى *

فاذا تبعت يسوع وكفرت بكلّ شيء
كلّ شيء فيهِ . وفضلاً عن هذه أي ا
المقدّس احفظ خاصةً الآية الآتية وأعده
في صلاتك واهجِ بها على الدوام : « وان
لي الالتصاق بالله وان اجعل على الرب
اتكالي » (مز ٧٢ : ٢٨) *

الفصل التاسع عشر

بعض آيات وجيزة ينبغي لنا التلذذ بها في بدء كل عمل

ضع كلامك في قلبي لكيلا اخطىء اليك *
(تثنية ١١ : ١٨)

لانّ الانسان يسقط عاجلاً في الشرّ اذا لم
ل قلبهُ ببعض افكار مقدّسة في يسوع الهـهِ
صهِ *

وعليهِ وجّه الى الله كل ما تسمع وتنظر وتقرأ
كر بهِ لكي تستحضر الله سريعاً في ذهنك .
ر اسم الرب الهك في الليل والنهار لتُحسن
لك امامهُ تعالى لانك بدونهِ عزّ وجلّ لا تنجح
حيثما وُجدتَ ومهما كان لك (١) *

(١) اعلم اننا قد تصرّفنا في بقية الفصل وجعلناها

فاذا استيقظت من النوم ردّد في بالك
الآية لتنشّط بها نفسك : « سيروا ما دام لكم
لئلّا يدرككم الظلام » (يو ١٢ : ٣٥) ثمّ صلِّ
« اليك يا رب ارفع نفسي (مز ٢٤) ولك
نهاري فاحفظني فيهِ من كلّ سوء ولا تُعطِ
للزلل » (مز ١٢٠) *

واذا غسّلت وجهك او جسدك او
فافتكر بهذهِ الآية : « إغسلني كثيرًا من اثمي
خطيئتي طهّرني (مز ٥٠ : ٤) اغسلي من
قلبكِ يا اورشليم » (ارم ٤ : ١٤) *

واذا نزعت عنك ثيابك لتلبس غيرها
هذهِ الآية : « انبذوا عنكم الانسان العتيق
بشهوات الغرور والبسوا الانسان الجديد
خُلق بحسب الله في البرّ وقداسة الحق

مناسبةً لكل نفس تقية بعد ان كانت مختصةً بالرهبان لا

ـس ٤ : ٢٢) *
وإذا مشيت في الطريق ردّد في عقلك هذا
م : « أَهدِني سبيل وصاياك فاني اياهُ هويت .
ق الزور أَبعد عنّي وبشريعتك ارحمني »
١١٨ : ٢٩ و ٣٥) *
وإذا ذهبتَ الى الكنيسة قل في قلبك هذا
م : « فرحتُ بالقائلين لي الى بيت الرب
ب » (مز ١٢١ : ١) *
وإذا دخلتَ الكنيسة قل ما ياتي : « وانا
ة نعمتك ادخل الى بيتك واسجد في هيكل
لك » (مز ٥ : ٨) وفي مدّة اقامتك في
سة ترنم مرارًا بهذا الكلام العذب : « واحدةً
تُ من الرب واياها التمس ان اسكن في بيت
ب كل ايام حياتي » (مز ٢٦ : ٤) *
وعند خروجك من الكنيسة اطلب الى الرب

قائلاً : « لا تهملني يا رب الهي ولا تتباعد
(مز ٣٧ : ٢٢) لستُ اسألك ان تنزعني من
بل ان تحفظني من الشرير » (يو ١٧ : ١٥)
٢ : اسهر على جسدك في بحر النهار ولا
يطلب الاستلذاذ بالاطعمة والاشربة وبغير
من حاجاتهِ لانك بذلك تظلم نفسك و
افراحاً تجلّ عن افراح الجسد بما لا يُحدّ
اكلتَ او شربت او نمتَ او تنزّهت او عملت
ذلك من اعمال الجسد المفروضة عليك
كلّ ذلك لتكميل ارادة الله فيك لا غير .
اراد جسدك الفاني ان يستميل بك الى الا
فردّهُ باحدى هذهِ الآيات :
« أروِني يا رب من دسم بيتك ومن
لذاتك اسقني لانّ ينبوع الحيوة عندك (مز ٣٥
حظّي انت يا رب وايضاً شهاداتك هي نع

١١٨ : ٢٤ و ٢٥) اني احسب كل شيء نفاية
سب المسيح (فيلبي ٢ : ٨) فنحن يا اخوتي لسنا
مين للجسد لكي نعيش حسب الجسد . لانكم
عشتم حسب الجسد تموتون وان انتم امتم
وح اعمال الجسد تحيون وتكونون بني الله »
م ٨ : ١٣) *
اذا اردت التكلّم فاطلب الى الله قائلاً :
عل يا رب حارساً لفمي واحفظ باب شفتيّ
دع قلبي يميل الى كلام الشرّ » (مز ١٤٠ : ٣) *
اذا اشتغلت ابتدئ شغلك قائلاً : « معونتي
عند الرب الذي صنع السماء والارض »
صلّيت ابتدئ قائلاً : « يا رب افتح شفتيّ
فمي بتسبحتك » (مز ٥٠ : ١٧) *
اذا قرأت قل في بدء قراءتك : « اكشف
عينيّ فانبصر عجائب شريعتك » (مز ١١٨ : ١٨)

وبعد القراءة تذكر هذا الكلام : « ان انتم
هذا فطوبى لكم اذا عملتموه » (يو ١٣ : ١٧

اذا نمت صلِّ قائلاً : « بالسلامة معاً ا
وانام لانك انت يا رب تسكنني وحدي
الامان (مز ٤ : ٩ و ١٠) *

٢ : هذا ما يخصّ اعمال النهار الاع
فاليك الان آياتٍ أُخر تجاه بعض احتي
النفس وتجاربها المتنوّعة *

اذا نفعت القريب بفكرٍ او قولٍ او
فلا تنسب لك منفعتهُ « لانّ الله هو ا
يُنبت فليس الغارس بشيء ولا الساقي با
الذي يربّي » (١ قور ٣ : ٦) *

اذا تعالت نقائصُك فوق راسك
مثل حمل ثقيل عليك فصلّ قائلاً : «
يا رب ارحمنا فاننا كثيرًا شبعنا هوانًا (مز ١٢٢

خل في المحاكمة مع عبدك فانهُ لن يتبرّر
ك. كل حيّ (مز ١٤٢ : ٢) لا تكن يا رب
ا لآثامي بل اشفِ نفسي ورجّعني اليك فأرجع.
ن يا رب بمسرّتك الى صهيون وابنِ اسوار
يم » (مز ٥٠ : ٢٠) *
اذا شككتَ في صحّة اعترافاتك فاعلم انّ هذا
ك نفسهُ هو اقطع دليل على جودتها اذ انّهُ
ر اعتياديًّا من محبّة الله وبغض الخطيئة ومن
الله وابغض الخطيئة يحيا في النعمة ومن يحيا
نعمة مغفورة لهُ خطاياهُ الكثيرة. فاذن عوض
حزن وتضطرب اشكر الله على رحمتهِ لك وقل
ع داود النبي : « باركي يا نفسي الرب ولا
جميع حسناتهِ الذي يغفر جميع ذنوبكِ
ي يشفي كلّ امراضكِ » (مز ١٠٢ : ٢) *
اذا هجمت عليك افكار سيئة واشتدّت فيك

التجارب فقاومها بهذه الاقوال : « ان اصطف
عسكر فلا يخاف قلبي إن قام عليَّ قتال ف
انا واثق لانهُ يخفيني في مظلتهِ في يوم السوء و
في ستر خيمتهِ » (مز ٢٦ : ٣ و ٥) *

اذا كنتَ قد عاهدت عينيك عهداً
ايوب الصدّيق ان لا تنظر الى وجه عذ
(ايوب ٣١ : ١) والجأتك الضرورة الى
بعض نساء ومجالستهنّ نظير يوسف البارّ فلا
الى اباطيل الاجساد بل ردّد في بالك
الكلام : « ليس فرقٌ في عالم النعمة بين
والمرأة » « الشمس والقمر يسبّحان الله باختلا
ويمجدانهِ بحسن نظامهما » *

اذا هالك ذكر الموت فصلِّ قائلاً : «
نوري وخلاصي ممّن اخاف الرب معاذ حياتي
ارتعب (مز ٢٦ : ١) وان انا مشيتُ في

الموت فلا اخشى الشرّ لانك معي عصاك
ك هما يعزّياني » (مز ٢٣ : ٤) *
ذا شعرت بتجربة قطع الرجاء فافتكر بما
« فوّض الى الرب طريقك واتكل عليهِ
صنع » (مز ٣٦ : ٥) *
فقد رتّب بموجب هذا الاسلوب في جميع
جات نفسك . أقت نفسك في الليل والنهار
قوال الكتاب المقدّس فتحيا *
اذا كانت نيّتك مستقيمة وسيرتك صالحة
في كلّ من اقوال الله الابن السماوي واذا
ت سيرتك شريرة فتمسي لك تلك الاقوال
لا قوتًا لذيذًا *
ارجع بقلبك الى يسوع الوديع الوضيع
نفسك تعزيتها وجميع ضيقاتك تؤول الى
ك وتحوّل الى فرح دائم *

الفصل العشرون

في سبع فضائل كسبع لولؤات توجد في
كلّ اخوية حسنة

« جيل المستقيمين يبارك (مز ١١١ : ٢) و
المنافقين تهلك (مز ١ : ٦) بركات الرب
راس الصدّيق (امثال ١٠ : ٦) وملاعين ال
يحيدون عن وصاياك » (مز ١١٨ : ١

كلّ جمعيّة صالحة نشيطة في العبادة
فيها خاصّةً سبع لؤلوات كريمة من الفضائل
على حرارتها وتسرّ الله وملائكته . بيد انّها
غاية ما يكون لدى الشياطين *

فاللؤلوة الاولى هي الطاعة في المر
بحيث انّ الجميع يطيعون رئيسهم من تلقاء
بسرعة وتواضع وكلٌّ منهم يترك ارادته ويقو

ساعة مع الرب يسوع : « يا ابتاه لتكن
ك لا مشيئتي لانّ مشيئتك صالحة بيد انّ
طالحة » *
فهكذا يُقهر الشيطان وتضحي حيلهُ باطلة
عة تنمو في الثواب وتزداد المكافأة السماويّة *
٢ : واما اللؤلؤة الثانية فهي الاتّفاق في الصلاح
انّ الجميع يشتغلون ويسهرون ويصلّون
ومون ويأكلون في وقت واحد ويوافق احدهم
قياماً بكلام يعقوب الرسول : « ليصلِّ
كم عن بعض لكي تُعافوا » (يعق ٥ : ١٦) *
واما اللؤلؤة الثالثة فهي الثبات في المكان
انّ الانسان لا يترك بيتهُ بخفّة ولا يغيّرهُ
راحتهِ الذاتيّة بل يبقى فيهِ ثابتاً لاجل يسوع
لكي يسمع منهُ هذا المديح : « انتم هم الذين
تم معي في تجاربي » *

واما اللؤلؤة الرابعة فهي الصبر في
بحيث انهم يكونون متأهبين ان يحتملوا لاجل
الابدية كل ما يعرض لهم من ضيق وكرب
كان ذلك من جهتهم او من قبل غيرهم
سماح الله العادل *

لانهُ من النادر ان يجتمع في محلّ واحد
كثيرون مختلفوا العمر والامة ولا يحدث بينهم
الكدر فعلاً او قولاً ولذا فلا بدّ من الصبر
احسن الادوية تلافاء جميع الاضطرابات
تعاليم القديس بولس القائل : « احملوا
بعضكم بعض وهكذا تتمون شريعة ا
(غلاطية ٦ : ٢) *

واختبار كلّ يوم يوقفنا على هذه الا
امراض الجسد وشوائب العقل ونقصان ال
في جميعنا لانهُ ليس احدٌ كاملاً في كلّ ش

الله وحدهُ *

٢ : واما اللؤلؤة الخامسة فهي الوداعة في
م مع رفاقنا ومن شان هذهِ الوداعة ان
ي المحبة وتبيد الغضب وتحفظ السلام بين
ة بحيث انهُ لا يكدّر احد قريبهُ او يجرحهُ او
بكلمة او علامة او فعل او يثقل عليهِ بضحكهِ
عبهِ او رصانتهِ . بل كلٌّ منّا يبادىء اخاهُ
حسان ويحبهُ مثل نفسهِ جاعلاً نصب عينيهِ على
ام هذا كلام يسوع المسيح : « تعلّموا مني فاني
ع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لانفسكم »
ى ١١ : ٢٩) في هذا العالم وفي الحيوة الدائمة
لسماء *

واما اللؤلؤة السادسة فهي الشكران على
انات الله بحيث انّ الاخ يحمد الله ويباركهُ
جميع الاحسانات التي اسبغها على العالم منذ

ابتدائهِ والتي سيسبغها عليهِ الى انتهائهِ .
احسانات الله عظيمة في السمآء وعلى الارض
تجلّ عن الوصف والاحصآء فيجب اذن ان
كلّ شيء لله ونشكرهُ على كلّ شيء شكراً
متناهٍ *

واما اللؤلؤة السابعة فهي الثبات الى
في جميع هذهِ الفضائل وفي كثير غيرها
تتعلق بها *

ان هذه اللؤلؤة تذهب بالعبد الحكيم
في القليل الى فرح سيدهِ الى مقرّ الراحة
وهنالك يفرح بالمجد الابد مع يسوع
القدّيسين من اجل الخمس الوزنات التي ر

* آمين *

LA DISCIPLINE

DES RELIGIEUX

كتاب

اخراج الجان من تهذيب الرهبان

وهو

الكتاب العاشر

من منتخبات الموقّر توما الكمبيسيّ

الفصل الأوّل

في التهذيب الرهباني [1]

« قبّلوا الابن لئلاّ يغضب فتهلكوا
الطريق » (مز ٢ : ١٢) *

انّك اذا حفظت بحرارةٍ التهذيب ا
أهداك الى كمال عظيم ونجّاك من الهلاك
وضفر لك اكاليلَ ساميةً رفيعةً في ا
السماوي *

وهذا التهذيب يقوم بثلاثة اشياء

(١) اعلم اننا قد تصرّفنا في هذا الكتاب
التصرّف فحذفنا من العبارات بعضاً واثبتنا بعضاً و
المعنى من بعض وبدّلنا بعضاً ببعض . لكي
الكتاب بفوائدهِ الرهبان وغيرهم من العابدين لا
وحدهم كما ينطق بذلك عنوانهُ *

السكوت باتقان واقامة الفرض الالهي بورع
وض المتواصل في شغل اليد *
حيث يُحفظ التهذيب حفظًا لا يخالطهُ فتور
السلام الاعظم والنجاح الروحيّ الأجزل .
بوجد ضعيفًا مدنفًا فهناك ينمو الطيش وتسود
لة وتُلقى الفضائل على الحضيض بسهولة *
انهُ في المحلّ الذي يُحفظ فيهِ التهذيب حفظًا
يشعر الساكن فيهِ بحضور النعمة السماويّة
نشق روائح ورود العبادة ويذوق طعم
ة ويحسّ بحلاوة التأمّل وحرارة الصلوة العقليّة
ترانيل الشكران ونشيد الحمد ويملك فرح
وفي ذاك المحلّ عينهِ يتنوّر العقل ويفقد
شوكتهُ ويرتفع الروح *
من يحبّ التهذيب يفرّح ضميرهُ ويكتسب
غرّاء ويزيد مجدهُ الابدي . من يحبّ

التهذيب يحفظ لسانهُ ويطلب الانزواء
من الجمع ويجتنب الضحك ويحبّ البكا
يكتسب حسنات يسوع وصداقتهُ *

من يطلب التملّص من التهذيب يقع
حبائل الشيطان ويفقد العبادة . قال
الرسول : « اصبروا على التاديب فانّ
يعاملكم كالبنين وايّ ابن لا يؤدّبهُ
(عبرانيين ١٢ : ٧) ولذا كان داود النبي
الى الله في صلاتهِ قائلاً : « علّمني الجودة و
والعلم » (مز ١١٨ : ٦٦) *

انّ معرفة الكتاب هي من هبات الله ا
بيد انّ حفظ القانون هو على ظنّي نعمةٌ اف
فعلى الأخ الصالح العابد ان يغصب ا
السيئة ويخضع بطيبة خاطر لجميع القوانين
استثناء واحدٍ منها . فان من يحبّ القانون

ويكون مزداناً بفضائل كثيرة وبالعكس
يبغض التاديب فذاك جاهلٌ ويشين نفسهُ *
٢ : ان العابد المهذّب يكون رصيناً في اقوالهِ
با الحافظهُ سالكاً في مخافة الله محكماً اعمالهُ
ا ومحبّاً للاقامة بصومعتهِ . ولا يتهمّم ابداً ولا
باحدٍ بل يفوّض الحكم كلهُ لله عزّ وجلّ .
رفع نظرهُ عن ذاتهِ ويسكت عمّا لا يعنيهِ لكي
بنفسهِ بجرّية عُظمى لانّ من يهمل اموره
ية ليتداخل في امور غيرهِ فقد بلغ من
ن غايته *
فاحفظ اذن قانونك في كل مكان تجد
ومجداً عظيمين واجتهد بان تجتنب كل شيء
لائق وبادر الى عمل كل ما يرضي الله ولا
نك الحياء البشري الى مخالفة قانونك *
من يسرّ بخلاف ضميرهِ ويهن الله من اجل

الناس يسالك مسالك الحمقى *

اذا سقط احد في الكسل والتواني
توبيب اخ لاخيهِ وأرشدهُ الى الارعواء ولكن
وان تتبع ضلالهُ وتحبهُ حبًّا يصيرك شريك
ذنبهِ لئلاّ تسقط وتهلك معهُ *

من كان غيورًا على قانونهِ وقبل الذنب
بفرح وشكر ينل من الله نعمًا خصوصيّة ولا
يوم خروجهِ من الجسد شكايات الاشرار بل
يفرح مع المختارين بالمكافأة المعطاة لهُ على
اذ يقول لهُ الرب يسوع : « نعمًا يا عبدًا
وامينًا لانك وُجدتَ امينًا في القليل فادخل
فرح سيدك » *

انّ ظفر الانسان بشهواتهِ لفضيلة اعظم
فضيلة من يطرد الشياطين . ومحبّة من ينبه ا
لتفوق محبة من يتصدّق على الفقراء *

ـمن يكن حارًّا في الباطن يجتنب الاحاديث
ـة في الخارج ومن يكره الصلوة ويسرّ
ـديث يكن فاترًا في الداخل *
ولكن كيف يكون الانسان حارًّا ؟ يكون
ـن حارًّا اذا قهر ذاتهُ كثيرًا في احدى
وتمسّك بشدّة قانونهِ وسار بموجب مراسيمهِ
ـ جذلان *
٢ : ولعلّك تقول : اني اخشى من تعب
ـ ومن علل أُخر . يا ويحك لانك تخاف
ـ الجسد ولا تبالي بامراض نفسك .
ـصعب الصوم والسهر والصمت ولا تلتفت الى
ـراق بالنار وعذاب الشياطين لك وطردك
ـالملكوت *
فادخل يا هذا مخدع قلبك وارجع الى الله
ـ صنعك واستجر بهِ فيساعدك *

ان كنت لا تقدر ان تخدم الله بدون
الراس فاخدمهُ براس تعبان فيكللك مع ال
في السماء بورود ورياحين نضرة في الغاية على
احتملت من اجلهِ على الارض التعب والوجع

لا تحرم نفسك مجدها وسعادتها من
حبك لهذه الدنيا الزائلة وتطلبك تسلياتها الفا

لا تنزعج بسوء تصرّف غيرك بل افتكر
خلاصك وابذل جهدك كلهُ في حسن اس
وقتك قياماً بكلام بولس الرسول : « ما د
وقت لنصنع الخير مع الجميع » *

فليكن مباركاً الاخ الذي يجتهد في قهر
في كلّ شيء لانهُ سوف يكلَّل على كل ما
لاجل يسوع المسيح *

الفصل الثاني

في تجارب الشيطان ومكايدهِ المتنوّعة

انّ الشيطان ينصب في كلّ مكانٍ فخاخهُ
كين والمتورّعين ولاسيّما الرهبان منهم ولذا
اوي بطرس اوّل رعاة الكنيسة المقدّسة
على المومنين قائلاً : اسهروا فانّ الشيطان
كم كالاسد يزأر ويجول يلتمس من يبتلعهُ
وهُ معتصمين بالايمان » (١ بطرس ٥ : ٨) *
ولذا ايضاً القدّيس يوحنا يحثّنا على الفطنة قائلاً
رؤيتهِ : « الويل اللارض والبحر لانّ ابليس
اليكم ولهُ غضب عظيم لانهُ يعلم انّ لهُ زماناً
» (روية ١٢ : ١٢) *
انّ ابليس لعلمهِ بسموّ حالة الرهبان وفضلها
ةً في الغاء هذه الحالة يجرّب عبيد الله بشدّة

عُظمى واكثر من العالميّين ويبكي على قداس
الرهبان العائشين في الزُهد والعفاف ويعلم
ان من يكون قد عاش على الارض باعظم
يكلّل في السمآء بأسنى اكليل *

انّ الذين يكافحون بشجاعة ويظفرون بل
تكون تجاربهم اشدّ من غيرهم بيد انّ
المُقبل بالاقتران الى الله سوف يكون اعظم
لأجل بسالتهم في الحرب *

٢ : انّ الشيطان لا يزال منذ هبوط
السمآء لكبريائهِ يجول في الارض يلتمس
يُغريهِ بوساوسهِ الرديئة ومن يجرحهُ بتلك
التي يقيّدهُ بها ليُخسّرهُ نعمة الله ويسحبهُ اخير
الى الهلاك الابدي *

وكما جرّب الانسان الاوّل في الفر
والاسرائيليّين في البرّيّة كذلك يجرّب الان ا

ـبر وينكّد عيشهم لكي يعيشوا في الرخاوة
وا القوانين ويقاوموا الروسآء ويرفضوا الطاعة
تى يتدنّسوا بمخالطتهِ الدنسة فيفقدوا المجد
ي وحتى يجد عليهم حجّةً مهمّةً للشكوى في
الدين *
فيجب علينا اذن ان نسهر ونتحفّظ دائمًا ائلّا
الشيطان نيامًا غير متسلّحين لانهُ هو لا ينام
سكن ابدًا بل ينصب فخاخهُ يمينًا وشمالًا *
انهُ اخزاهُ الله يمسك بسهولة الراقدين الذين
ون قليلًا ويحبّون رخاء العيش . ويجرح
الغير المتسلّحين الذين يصلّون نادرًا ولا
ون يتذكرون القراءات المقدّسة *
ويغري بجواذبهِ الجائلين في الخارج ويحوط
ين بالاباطيل حتى يهملوا اشغالهم وينعوا
عن الشغل . ويمنع المبتدئين بعمل صالح

عن المداومة عليهِ ويجعل النعاس والنوم في
القارئين والمصلّين والمجتهدين في القيا
الفراش *

٢ : ليس مكان لا يطوف فيهِ الشيطان
الناس لكي يخطف ويهلك ولو واحدةً من
قطيع المسيح المسكينة · ولذا نسمع الراعي ال
يهتف نحو نعاجهِ ببوقهِ الخلاصي ويحذّرها ق
« اسهروا وصلّوا كيلا تدخلوا في التجارب »
فكأنّهُ يقول لها : « ها انّ الذئب ال
يجول حول خيمكم . ها انّ الحيّة القديمة
طالبة شقًّا تدخل منهُ الى داخل قلوبكم
وتدميهُ وتصيّركم غضوبين ولكي تدنّسكم
وتصيّركم عهرةً فكونوا اذن على حذر صلّوا
وخارجًا صلّوا ليلاً ونهارًا لانّ الحرب تتهدّد
كلّ جهة وجانب وليس أمن تحت السماء

ن اعدا‌ءكم كثيرو العدد وماهرون في
ب * *
تحرزوا من التصوّرات سوآء انتكم من الجسد
ن العالم . اغلقوا باب قلوبكم وتسلّحوا بعلامة
ب فلا يضرّكم شيطان *
يا احبآء الله تحفّظوا من الافكار الخادعة
التي يُثيرها فيكم ابليس لا تلبثوا مفتكرين
ل حالما تشعرون بحركات منكرة حوّلوا
عنها واستغيثوا باسم الرب متنهّدين على
م الشر الذي تحملونهُ فيكم *
مهما عملتم من الخير فانسبوهُ بكلّيتهِ الى نعمة
رحمتهِ لا الى حذاقتكم او شغلكم . ان
ان لا يخاف ولا يهرب من احدٍ مثلما يخاف
ب من القلب المتواضع المملوء احتقاراً لذاتهِ . ولا
على احدٍ مثلما يقوى على المتكبّر المُعجب بنفسهِ *

فتحفظوا من الكبرياء اذا اردتم ان
من البوار والهلاك · واجتنبوا الارتفاع والا
الباطل فتنجوا من الخديعة والفضيحة *

الفصل الثالث

في الرجوع الحقيقي الى الله الخير الاعظم

انّ الموانع التي تبعدنا عن الله خيرنا ا
كثيرة عديدة اذ انّ فسادنا وضعفنا الب
يهبطان بنا سريعاً الى الرغبة في الاشياء ال
الارضيّة التي لا تستطيع ان تشبعنا وتدوم لنا
فيجب اذن الرجوع كلّ يوم الى الله
كثيراً ما نبتعد عنهُ لنعود ايضاً الى ذواتنا
المنحرف لها وبانعطافنا الى الخلائق والاباط
ومع انّنا نستوجب لهذه حالتنا التوبيخ والتـ

بغير حقّ من اراد من وجه الفضيلة ان
ا ويهذّبنا ونحتقرهُ ونسيء الكلام عنهُ ولو
رجلاً بارًّا فاضلاً . وهذه الضلالة لا تنشأ
ن الكبرياء وارتفاع القلب واغراء الشيطان *
فارسم ايها الاخ العزيز في قلبك بحروف
ن هذه الحقيقة وهي انّ القداسة لا تقوم بظواهر
ة والتديّن لكن بقهر الانسان رذائلهُ
ساب الفضائل المضادّة لها *
فيجب علينا لنرجع الى الله ان نجرّد قلبنا على
وسعنا من الاشياء المنظورة المادّيّة ونرفعهُ
امل جمال الخالق الغير المنظور وان نتوق
الى الخيرات السماوية . وكلّما اراد فكرنا
رد فلنردّهُ بالتوجّع والتذلّل قائلين مع داود
: اردنا يا الاه خلاصنا واصرف غضبك
(مز ٨٤ : ٥) *

انّنا اذا عملنا هكذا النفت الله الى ص
واستجاب لنا وسُرّت بنا الملائكة القدّيسور
السماء لانّنا ننعطف من كلّ قلبنا الى
الهنا غبطةِ جميع القدّيسين *

بيد ان ابليس يجتهد بالعكس بان ي
النفس العابدة من هذا الخير الاعظم فيعيقه
سيرها بتجارب شتّى ويُثير فيها افكارًا رديئة .
لكي تضجر وتتوهّم ان الله قد صرف وجهُ
ولا يريد خلاصها ونجاتها فتترك صلاته
واستغاثتها بهِ عزّ وجلّ وتدع جانبًا كلّ ا
بتقدّمها الروحي وصيانة قلبها . واذ ذاك
الشيطان ويطرب لادراكهِ بغيتهُ *

٢ : فايّانا والفشل ايّانا وترك شيء
عبادتنا ورياضاتنا الروحيّة حين يشنّ الش
علينا غاراتهِ بل لنتتبعْ مسيرنا كالسابق ولو

بالنا مرذولةً مرفوضةً لكثرة ما نرى فيها
عيوب والنقائص *
ن الله يُسرّ جدًّا بتلك النفس التي يُريها
ان ان الله قد تركها ولا يريدها وهي مع
لا تنفكّ تطلبهُ وتداوم على خدمتهِ قائلةً
اود النبيّ : « عيناي في كلّ حين الى الرب
يجتذب من الفخّ رجلي » (مز ٢٤ : ١٥) *
فلتتعزّ اذن هذه النفس لانّ التسليات
رات التي يتركها لها الرب الهها بعد زوال
ا ليست بيسيرة *
وبالعكس ان الله لا يسرّ بتلك النفس التي
بلت منهُ خيرات كثيرة وحسنات لا تعداد
عوض ان تسترسل لهذه دواعي الشكر لهُ
ح بهِ والاتكال عليهِ تخاف منهُ وتشكّ في
على خلاصها لكثرة الصعوبات التي تجدها

في خدمتهِ *

لعمري ان هذه النفس بتصرفها هذا
ذاتها من تسليات وافرة ونِعَم غزيرة كما
موسى وهارون دخول ارض الميعاد لشكّهما في
الله لهما باخراج الماء من الصخرة (العدد ٢٠ :
وكيف لا يشقّ على الرب يسوع ذلك
النفس معهُ وتنكرها منهُ وهو لاسمهِ الجود
عاني لاجل خلاصها اوجاعًا شديدة وعذابات
ولا يزال منذ رسمهِ سرّ الاوخارستيا يصلّي
ابيهِ في هذا سرّ محبتهِ لكي ناتي الآمهُ و
وامثلتهُ وسائر اسرار حياتهِ وموتهِ على
بثمارها في انفس المومنين بهِ *

٣ : فلا يليق بنا وهذه رغبة يسوع
خلاصنا ان نخاف مكايد الشيطان فنفوه
كلام اليأس « من يقدر ان يخلص » بل

الرب همنا ولنفوّض له طريقنا . لنرجُ منهُ
ننا مهما تعذّر علينا « لاننّا نقوى على كلّ
المسيح الذي يقوّينا (فيلبّي ٤ : ١٣) ونعمتهُ
» (٢ قور ١٢ : ٩) *
« من الرب الرحمة ومنهُ النجاة الكثيرة وهو
سرائيل من كلّ آثامهِ » فلا نرجُونّ خلاصنا
قوانا او من اعمالنا او من استحقاقاتنا لكن
وهُ من رحمة الربّ لا غير وهو لا يخيّب رجآء
بهِ *
اذا اجتهدت مدّة سنين كثيرة في اكتساب
ة ما ولم تنجح بعد كلّ تلك المدّة فلا تفشل
ال جهدًا لانّ الرب سوف يكلّل اجتهادك
بالغلبة والانتصار بعد ان تكون قد تحقّقت
تلك السنين ضعفك وعدم اقتدارك على
شيءٍ صالح لغيرهِ تعالى « طوبى للحزانى

فانّهم يتعزّون . طوبى للجياع والعطاش الى
فانّهم يُشبعون » (متى ٥ : ٤ و٦) *

فسبيلنا ما دمنا نحسّ بجروحنا وام
ان نندم ونبكي وننعطف الى الله بالصلوة ا
والتذلّل امامهُ تعالى لانّ الانسان يعوّض ب
والتواضع والبكآء على خطاياهُ عمّا يلحقهُ
الاضرار بسبب زلّاتهِ وتقصيراتهِ ويُؤهّب
لقبول المُزن السماوية والمواهب الروحية *

الفصل الرابع

في طاعة راهبٍ وضيع

من واجبات الأخ الصالح ان يعتنق
فريضة الطاعة ويلاشي ارادتهُ الذاتية ويس
الله ورئيسهُ ذاتهُ على مثال يسوع المسيح

تقدمةٍ يستطيع الانسان ان يقدّمها للرب *
فليجتنب اذن الراهب الصالح دينونة رئيسهِ
ة والبحث عن رذائلهِ بروح التنقيب وليفسّر
ع الأحسن جميع اقوالهِ واعمالهِ *
اذا فاه رئيسنا ببعض اقوال تلوح لنا قليلة
، او وجدنا فيهِ بعض نقائص فلا ينبغي لنا
جل ذلك ان نحتقرهُ ونقرّفهُ بل لنعذرهُ
ة بتقوى وننبهّهُ بمحبة ان راينا ذلك لائقًا
ظيفتهُ ليست بخفيفةٍ . وينبغي لنا ايضاً ان
لهُ كثيرًا في السرّ لكي يصونهُ الله ويقوّيهُ
هُ ما يحتاج اليهِ لتدبير شعبهِ وغنمهِ *
من النادر ان نجد رئيساً يستطيع ان يُرضي
فيجب اذن على مرؤوسيهِ ان يساعدوهُ
وهُ ويحتملوهُ ويعذروهُ امام الضعفاء الذين
ون ان يسيئوا الظنّ فيهِ اذا قاومهم او

رفض عليهم شيئاً . ومن شان هولاۤء ان ي
ارئيسهم كلّ شرّ يحدث وكلّ خبر تهمل ول
لا ينبغي لنا ان نستحسن كلامهم ونصدّق
بل لنندافع عن رئيسنا ونبرّر اعمالهُ ما اس
وبعملنا هذا نبني القريب ونجمع بين ال
ونكتسب رضى الله والناس علينا *

اذا لمنا رئيسنا واجتمعنا على مذمتهِ ل
من الخطإِ والملامة وان كنّا صائبين في
لانّ من يدين عبداً ليس لهُ فانهُ ينطاول

٢ : الرجل الوضيع والراغب في
بطاعة يسوع المسيح والقدّيسين لا يفضّل راي
راي رئيسهِ بل يبادر الى اتمام كل ما يو
ولو كان الشيء المامور بهِ واهياً حقيراً . لان
الخضوع هو افضل الاعمال الباطنة والا
والاجزل ثواباً والآمن للضمير *

ـمن أحبّ البلوغ الى الكمال الاعظم سريعاً في حفظ الطاعة كلّ الاجتهاد لانّ الطاعة لموت هي من أجلّ الفضائل اذ انّها نفرض الارادة الذاتيّة والخضوع لارادة الغير وهذا ـتضي شجاعة عظيمةً وتواضعاً بليغاً وحكمةً ـة *

ـفيا لها طاعة مغبوطةً موقّرة علّمها ومارسها ـا يسوع المسيح حكمة الآب الازلي اذ قال ـفسهِ : « ما اتيت لأعمل بمشيئتي لكن بمشيئة ـرسلني » *

ولما كان ماضياً الى موضع العذاب كفر ـهِ الذاتيّة وصلّى قائلاً : « يا ابتاه ان كان ـستطاع ان تعبر عنّي هذه الكاس فلتكن ـك » *

ومريم العذرآء امّ يسوع المغبوطة خضعت

ايضاً خضوعاً سريعاً تامّاً بقولها للملاك : «
امة الرب فليكن لي كقولك » *

٣ : فهكذا يجب ان تكون طاعتنا ل
وهذه فضيلة الطاعة هي افضل من الذبائح وا
اذ انها تمحو الشرور الماضية وتقي من ال
المُقبلة وتغفر القصاصات وتخلّص من العذ
الجهنمية . وبها يصير الانسان عزيزاً لدى
فيحبّهُ يسوع المسيح محبّة اخ لأخيهِ بموجب ق
« كل من يعمل ارادة ابي الذي في السم
فذاك هو اخي واختي وامّي » *

فما اثمن هذه الفضيلة التي تنتهي تو
يكون قد اختارها وتمسّك بعروتها الى ذاك ا
الذي فقدهُ آدم وحوّاء بعصيانهما ووجدهُ
ومريم بطاعتهما لاجلنا *

انّ الطاعة تفيد اكثر من العلم وهي

سلط والمناصب والرتب فهذا يستحقّ جزيل
ر وان يُعدَّ بين الابرار والقدّيسين *

الفصل الخامس

في حفظ القلب واختلاء المرء بنفسهِ

ن الانسان ولو كان يميل طبعاً الى الاشيآء
ية ويطلب بطيبةٍ تسلياته في الخلائق التي
اهوآءهُ فيجب عليهِ مع ذلك ان يجتهد
ختلي بنفسهِ بتوجّع لكي لا يفقد في الباطن
ته وخيراته *

لانّ من يتبع هواه ويطلب الاستلذاذ بهِ
ب بتغيّر اشواقهِ وتقلّباتها اذ انّهُ يوماً يهوى
يوماً يكره ذلك الشيء فيهوى غيرهُ *

كن اذن يقظان على حراسة قلبك دائماً

واختلِ بنفسك عند الحاجة ادخل ز
وافتقد خفاياها غصباً عنها . لانك اذا لم
السلام في الباطن لا تجد سعادةً في الظاه
ولو ربحت العالم كلّهُ *

أحسن واسطة لحفظ قلبك ان ترتّب ع
وتعيّن لكلّ ساعة من نهارك شغلاً ماديّاً او
روحيّة بحيث انك لا تبقى بطّالاً ومختاراً بوق

ولا بدّ لك ايضاً من اجتناب بعض
كالاقوال الخفيفة وضوضاء الدهر وموآلف
العالم واحاديث النسآء والزيارات الغير
لانّ هذه الاشيآء تُشغل العقل وتدنّس الق
ومن يلتذّ بها يقلّل فيهِ مواهبهُ الباطنة *

ومن الاشيآء ما يجب عليك حفظها
كشدّة القانون في الصمت والصوم
والشغل المفروض عليك لانّ من شان

ن ان تذلّل الجسد كيلا يتمرّد على الروح
في النفس تجارب عديدة تعتم على العقل
حرارة العبادة *
يوجد اشيآء يجب الصبر عليها كالحرمان
الاشيآء الزمنيّة وفقدان الخيرات واضطهاد
ء وامراض البدن ونقائص الغير الكاملين
الاقوال وسلب التعزية وحزن الاصدقاء·
ان هذه الاشيآء ان تمتحن الانسان وتطهره
النار واذا احسن التصرّف فيها يعدّ له
كافآت ثوابًا جزيلاً *
من الاشيآء ما يجب تركهُ سريعًا كالخطايا
ة والرذائل المضادّة لوصايا الله وفضائل
المسيح *
: فإذن « احفظ قلبك فوق كلّ تحفّظ
ل ٤ : ٢٣) بوجب مشورة الحكيم لئلاّ يدخله

شيء نجس يهين الله فان من القلب مخارج ا
ومنهُ ايضًا انواع الشرور *

اذا شعرت برذيلة فاستعمل الدوآء ا
لها في الحال خشية ان تزداد فيك الشهوة
وخطرًا . لا يوجد رذيلة بدون دوآء
معرفة هذا الدوآء لا تكفي بدون استعماله
كثيرون يعودون الى رذائلهم لاخفّ سبب
معرفتهم واجباتهم *

فينبغي لنا ان نحارب كلّ يوم في هذه
التي هي عبارة عن تجربة متواصلة ونعزم ا
الصالحة ونستمد الغوث الالهي حتى تنتهي
هذه الدنيا المضطربة *

ليس في هذه الدنيا شفآء تام من
امراضنا واسقامنا بحيث انّ الانسان
معصومًا من كلّ زلّة وذنب وحزن ووجع

لله ولا يحصل عليها الانسان الّا في السمآء *
لحالة هذه يمكننا بنعمة الله ان نكسر شوكة
ونجتنب اسباب الخطيئة ونغسل بدموع
الادناس التي نلتطخ بها كلّ يوم *
م عسرٌ على الانسان ان يصون قلبهُ من
ى ويجرّدهُ من حُبّ الخلائق ولكن ليتشجعْ
بذكر الاكاليل التي يضفرها لهُ بغصب

ن يقظان على عواطف قلبك لتنبذ السّيئة
منها وتحافظ على الجيّدة الصالحة وليكن
فعُ نفسك غاية اهتمامك وافكارك على ما
اود النبي: « نفسي بيديَّ كلّ حين ولم
ر يعتك » *
ان كان داود النبي القدّيس قد صنع
مع اهتمامهِ بمملكة عظيمة فكم بالحري يجب

على راهب كرّس ذاتهُ لله وخَلِص من هموم
العالم باسرها ان يجعل دائمًا خلاص نفسهِ
عينيهِ ويهتمّ بهِ *

ان أردتَ وسائط تساعدك على حفظ
وخلاص نفسك فعليك بالاختلآء وا
والدرس والقرآءة والصلوة والتأمّل واج
معرفة احوال العالم واخبارهُ *

الفصل السادس

في حفظ اللسان والانعكاف على الشغل

اجتهد كلّ الاجتهاد في حفظ لسانك
كلّ كلمة بطّالة يتكلّم بها الناس يعطون
جوابًا في يوم الدين « (متى ١٢ : ٣٦) *
وقال يعقوب الرسول : « من ظنّ انهُ

يلجم لسانهُ بل يغرّ قلبهُ فذلك ديانتهُ
» (يعقوب ١ : ٢٦) *
من سوء حفظ اللسان ينجم عادةً شرور
يسلم منها الانسان السكوت ولا يحتاج الى
بها . فاحبب السكوت واجتنب الاقوال
لانّ الاكثار من الكلام الباطل يطفىء
ويولّد الطيش ويضيع الوقت ويجرح
ويشكك القريب *
ال الرب يسوع : « ليكن كلامكم نعم نعم
وما زاد على ذلك فهو من الشرير »
٥ : ٢٧) فعلمنا المخلّص بهذا الكلام ان
كلامنا او نسكت *
شئت حفظ السكوت فعليك بالانفراد
طعت وتفرّغ للقراءة او للصلوة او لعمل
فيد *

٢ : واجتنب البطالة وامضِ الى شغ
واحرث كرم الرب لدرهم الحيوة الابديةّ
يبكّتك ربُّ البيت قائلاً لك : « ما بالك
ههنا النهار كلّهُ بطّالاً » (متى ٢٠ : ٦) *
انّ الكتاب المقدّس يثني على الشَّغو
ويسوع المسيح يكافىء العبد الامين ويوبّخ الك
والمتواني ويأخذ منهُ الذي لهُ ليعطيهُ لمن ي
بحرارة عُظمى *
اشتغل ما دام لك وقت لئلاّ يأتي
مولاك فيجدك بطّالاً او نائماً فيلقيك في الظ
البرّانية ولذا قال الرب يسوع لتلاميذه : «
ان اعمل اعمال من ارسلني ما دام النهار ف
الليل الذي لا يستطيع احدٌ فيهِ عملاً . ما
في العالم فانا نور العالم » (يوحنا ٩ : ٤ و
ليت شعري انّ القدّيسين نالوا اكاليل

شاقة واتعاب مضحكة بل بسفك
ومكايدتهم شرّ العذابات فكيف تريد
سلان ان تنال هذا الاكليل نفسهُ بذهابك
اك وتضييع وقتك وصرفهِ بالبطالة والكلام

*

ال الرب يسوع : « ان لم تتوبوا تهلكوا
كذلك » (لوقا ١٣ : ٥) فيا لهُ حكمًا
لكنهُ مفيدٌ جدًا لارعوائك وحفظ قانونك
اذن سيرتك فلا تخشى العقاب بل تنال
لابدي *

الفصل السابع

في الصومعة والاختلاء

من يحبّ صومعتهُ ويمكث فيها بطيبةٍ ي
من خطايا كثيرة وتجارب عديدة *

سقياً لمن يحب صومعتهُ ويمكث فيها
فانهُ يتهذّب بعذوبة الروح . اما من يكره ف
ولا يُقِم فيها الاّ نادراً يجد في الخارج مخاطر
لا يكاد يسلم من عواقبها الوخيمة *

من يتصوّر كلّ يوم انهُ قريب من ا
يستطيب الاقامة في قلاّيتهِ ولا يضجر منها وك
من يحبّ السكوت والشغل *

اذا ضجرت من صومعتك فقدّم ضجرك
ليسوع المنازع في بستان الزيتون ولا
قلاّيتك بسهولةٍ او لاسباب واهيةٍ *

ـس يصبر على الضجر ولا يترك فلاينهُ لاجلهِ
بعد زوالهِ على تسليات الروح القدس
ـمن شرور عديدة ومخاطر كثيرة *
ـن يحب الانزواء في صومعتهِ يحافظ على حسن
وصلاح اسمهِ ويتيسر لهُ الارتقاء الى الله
بواسطة التامل والصلوة العقلية وكثيرًا
ـتع في قراءاتهِ وصلواتهِ ويتنعم براحة بالٍ
تجل عن الوصف *
: اذا أُمرت بالخروج او دعتك منفعة
ـس فاذهب برزانة ولطافة وعُد سريعًا الى
ـــ *
ـحفظ في الخارج عينيك من النظر الى
ـي العالم وسدّ اذنيك عن اخبارهِ المشوّشة
لسانك واشغل فكرك بكلام جيد من
ـس المقدّس او من غيرهِ *

ماذا يفيدك النظر الى اشياء لا تحلّ ل
انّك لا تجني من هذه النظرات غير تعب ا
وكآبة الروح وكلّما افتكرت فيما نظرت
في الوقت عينهِ اضطرابًا وقلقًا في الباطن *

ففضّل اذن راحة نفسك الباطنة على
سريعة المرور كثيرة الشرور *

واذا عدت الى زاويتك وانظر الى ما
وعملتهُ فان احسنت فيهِ فاشكر الله على
وان اسأت فتواضع وابكِ ضعفك البالغ وا
الله ان يزيدك صلاحًا وقوّة وفطنة ويترك
زلّاتك برحمتهِ *

لتعلّمك زلّاتك ان تزيد تيقّظك على
في وسط العالم واربح في الخلوة ما تكون
خسرتهُ في الخارج *

من النادر ان يعود الانسان الى بيتهِ

ذنبٍ . رايتُ كثيرين يكثرون الخروج
ئهم غير اني لم ارَ الفائدة التي يعودون بها
يت غيرهم *
ذا دخلت بيتك فانسَ ما رايتَ وسمعتَ
باطيل وتفرّغ الشغل والقرآءة لكي تعود
الى مصاحبة خالقك والمك الرحيم *
: انّ العبادة لا تنمو وتعظم الّا في الخلوة
عف وتتبدَّد الّا في الجمع ولذا اراد مخلّصنا
مع سمو قداسته ان يعتزل عن الناس
دة تردده على الارض لكي يعلّمنا نحن
ن الى هذا الاعتزال اكثر منهُ ان لا
الفرار من خلوتنا لأدنى سبب *
ن يحب يسوع يجد الخلوة عذبة ويأنس بها
ا تثقل على محب الدنيا وحطامها *
ا ما اجلّ حكمة من يحب الاقامة في بيته

ولا يصرف وقتهُ بالذّهاب والإياب . يتم
يتنعّم في خلوتهِ هذه براحةٍ وسكون لا يح
عليهما بنو الدّهر في أشد افراحهم واعراسهم
ويا ما اعظم حماقة مَن نال من لدن
موهبة الاختلآء والتوحّد ويفضّل عليها ا
بين الناس ليسمع احاديثهم ويرى أباطيلهم و
الى بيتهِ باثقالٍ من الهموم والغموم *

الفصل الثامن

في تلاوة الفرض

اذا بانت لك صلاة الفرض شاقّة
فاذكر ان السهر والترتيل مدّة ثلاث او
ساعات لأشهى واعذب من ساعةٍ واحدة
نيران المطهر *

ذكر ايضاً انّ كلّ كلمة من الفرض
بها بانتباه تزيد اجرك في السمآء كما ان
الاختيارية تزيدك عذاباً في المطهر *
يس بلائق ان نحضر امام الله وقديسيهِ
طائش وفكرٍ مشتت وان كنّا نحن لا نصغي
لاقوال التي ننطق بها فكيف نريد ان
الله لنا ويلتفت الى صلاتنا *
واحسرتي ايّ اهانة يرتكب من يردّد في
والاً باطلة وافعالاً واهية في مكان لا ينبغي
نتفرّغ فيهِ بعد تركنا كلّ امر الّا لعمل
وللتأمّل في الاسرار الالهيّة *
العابد الحقيقي يتميّز خاصّةً بحرارتهِ ورغبتهِ
الله والترتيل لهُ وهذا الكلام كلامهُ وهو:
الرب في كلّ وقت في كلّ حين تسبحتهُ
« (مز ٣٢) *

فاذن من يضجر من تلاوة الفرض ولا ي
من ساعاتٍ يقضيها مع الناس فهذا ليس
حقيقيّ *

اننا بتلاوة فرضنا نرفع قلبنا الى الله
معهُ ونفي واجباتنا نحوهُ فكيف يمكننا ان نكره
مقدّساً يقرّبنا بهذا النوع من الله ويزيد
الوقت نفسهِ عزّاً وفخراً ونفضّل عليهِ البطا
الاحاديث الباطلة وما اشبه ذلك *

من يقيم صلاة فرضهِ بعبادة واحترام ي
الملائكة في تسابيحهم الدائمة للثالوث الاق
اذ انهم لا يملّون في السماء من اعادة هذا ال
وهو : « قدوس قدوس قدوس » *

٢ : فبئس عمل من يعتني براحة
اكثر من اعتنائهِ بخلاص نفسهِ فيقصّر ص
وقداديسهُ وكلّ شيء فيهِ منفعة لنفسهِ وي

ونومهِ وتنزهاتهِ وسائر افعال جسدك *
م نشعر بتخشع وعذوبة في بدء صلاتك فاجتهد
ن صلاتك بموجب استطاعتك لانهُ يتفق غالباً
الانسان في آخر صلاتهِ ما لم يشعر بهِ في اوّلها *
ب انك لم تشعر بتخشّع او حرارة مدّة
كلّها فلا تعدّ صلاتك هذه غير مقبولة
ه سيّما اذا كنت غير مذنب • واحياناً
ن الصلوة المصلاّة ببرودة اشهى من
لانّ من يصلّي بحرارة وعذوبة ربّما يشتغل
وبة عن الله او يستكبر فيُفسد صلاتهُ *
من يداوم على صلاتهِ مع البرودة التي فيهِ
ي الله كثيراً لانّهُ لا يقصد في تلك الصلوة
هِ تعالى ومسرّتهُ فضلاً عن ان صلاتهُ تكون
ع وانكسار قلب ومن المحقّق « انّ القلب
لمتضع لا يرذلهُ الله » (مز ٥٠ : ١٩) *

الفصل التاسع

في الترتيب الذي ينبغي لنا حفظهُ
في كل عمل روحي

ينبغي لخادم الرب ان يعمل جميع اعمالهِ بـ
فلا تُرخِ العنان لجسدك ولا تضيِّقهُ لان ا
والتضييق شرّان يجب اجتنابُهما *

سر بين الحدَّين اي لا تباشر بكبرياء
تفوق طاقتك ولا تهمل بسبب الكسل
يمكنك فعلها *

ان الله لا يطلب منّا ان نضر جسدنا لـ
نبيدَ رذائلنا ولا يفرض علينا الغير المستطا
ما كان مستطاعًا ونافعًا لخلاصنا *

لا تهمل المداراة التي يحتاج اليها جسد
صحّة الجسد تصلح للنفس وتساعدها على خد

في الفضيلة *

ن يركض اليوم وينام في الغد من التعب لا
ي سبل الله لكنهُ يضر نفسهُ ويؤخر نجاحهُ *
ن يأبى اليوم امتلاك شيء ويستبيح في الغد
رائد باطلة لا يدعى فقيرًا لكنهُ يشحذ طمعهُ *
ن يصوم اليوم ويطلب في الغد اطعمة لذيذة
لا يكون صائمًا لكنهُ يثير شراهتهُ *
ن يقرأ او يكتب اليوم حتى يجهد راسهُ فانهُ لا
فسهُ في الغد لكنهُ يجعلها قاصرة عن اعمال
صالحة *
ن يصمت اليوم النهار كلهُ ولا يسد فاه
د لا يكون مهذبًا لكنهُ يشكك القريب
عليهِ *
: وبالجملة كلّ شيء تجاوز الحدّ وخالف
الفطنة يُسيء الله ولا يدوم زمانًا طويلًا *

اذا اردت ان تكون جميع اعمالك مصـ
بفطنة واعتدال فعليك بمشاورة رئيسك او مرشـ
والطاعة لهُ *

لا تحبَّ انَّ تتميَّز في شيءٍ عن غيرك واذا
الله نعمةً خصوصيَّةً فاعترف بانَّك انسانٌ لا
وبانَّك تحمل ايضاً رداءَ الجسد الشاقَّ لا
الأنفس المجيدة واقبل نعمة الله بشكر وامتنان
اطِّف فرحك الزائد بالخوف وخوفك الـ
بالرجآء بيسوع المسيح مخلّصك وفاديك *

الفصل العاشر

صلوةٌ يطلب فيها المرء ان يتكمَّل في الفضـ
تكميلاً مغبوطاً

ايُّها الربّ الاله الاب القدُّوس « الذي

ي بمقدار وعدد ووزن » (حكمة ١١ : ٢١)
ن تكرمهُ كلّ خليقة ناطقةٍ اكراماً لائقاً ويجب
ب على الخصوص ان تخدمهُ خدّامهُ بطيبة
وسرور أسألك ان ترتّب جميع اعمالي
ب مسرّتك الصالحة وتقهر حركات جسدي
بسلطة مقاصدك الابديّة وتُعطيني ان اكسر
ارادتي *
رتّب اللهم جميع عواطفي واجعلني أنبذ الرديئة
ي الحال ومنذ اوّل شعوري بها واتمسّك
عة والطاهرة كلّ التمسّك واتعلّم ان استغني
شكال الجسديّة عند تبصّري فيك *
طف يا رب قواي واعمالي في الخارج ولا
التصق بالارض كلّ الالتصاق بل اجعلني
حين قادراً على الرجوع اليك *
يها الرب الهي احفظ فيّ الشوق الى الخيرات

الابدية ومحبة الفضائل المقدسة وذوق الا
السماوية لكي يتمجد فيّ اسمك القدوس احسن
وأربح خلاص نفسي *

لا تدع يا رب ان تصيبني الكبرياء
تسلياتك ويفتك فيّ وباء المجد الباطل *

ولا تاذن للشيطان ان يخدعني بأوهامه او
اغترّ بتسلية كاذبة بل اعطني ان اعمل كلّ
بفطنة واباشر بكلّ عمل بمشورة الحكماء . و
امام عزتك بخوفٍ واحترام وحرّية وبرارة
كلّ هوى وتعلق بالاشياء الفاسدة *

هبني اللهم روحًا متضعًا ساكنًا معتدلاً ولا
قلبي يرتبط بخليقة برُبط رديئة بل احفظه
هادئًا لكي يتيسر له كلّ وقتٍ الارتقاء بال
الى السماء والاتحاد بك في الباطن ولا يُسلك
منظور بل يحتقر هذا العالم احتقارًا حقيقيًا *

عطني ان اقضي الامور الزمنية بنوع لا
اطني بل يساعدني على خدمتك بحرية
وليعد كل عمل اعمله في الخارج او في
لمجد اسمك الاعظم بعد ان اكون قد عملته
ك وبموجب ارادتك ومسرّتك الصالحة *
جعلني اخضع لك سريعاً في كل رغائبي
شيء يضادّ طبيعتي صابرًا على ثقل هذه
الحاضرة الى ان تدعوني اليك واذ ذاك
ان تبطّل كلّ الحيل التي يخترعها الشيطان
وتقبل روحي بين يديك لتمجّدك مع
ك الى الابد *
كرني اللهم في حاجتي القصوى والطف
د جعل كل ثقتهِ بجودتك ورحمتك *

الفصل الحادي عشر

في حبّ الله والقريب وبغض الرذائل

انّ الصلاح يُحَبّ وفي محبّتهِ سعادة . ب
النفس التي خُلقت لتُحِبّ صلاحاً غير متناهٍ ل
سعادتها الاّ في محبة هذا الصلاح الذي ه
واحتقارها كل شيء سواه وعليهِ قال
الرسول : « اعتدتُ كلّ الاشياء نفايةً لأ
المسيح » (فيلبي ٣ : ٨) *

انّ الخليقة ليس لها غير ظواهر الصلاح او
منهُ ولذا لا تجدي محبّتها للنفس راحةً وس
ولهذا ايضاً قال الرب يسوع . « ليس
غير الله » *

انّ المحبة فضيلة شريفة مولودة من الله
النفس المزدانة بها الى طلب السماويّات وا

ات *

انها تبغض الرذيلة وترذل الملذّات وتقاوم
تغصب الطبيعة لتظفر بكلّ ما يضادّ الله
يلة . وكما ان الماء والنار شيئان لا يجتمعان
ك محبة الله ومحبّة العالم ضدّان لا يتّفقان *
كما قهر الانسان ذاته وأصلح عيوبهُ زاد حبهُ
دت عواطف جسده واميالهُ المنحرفة . ومن
سلوكهُ ويرضى بحالنهِ يجرح المحبّة وينفي
سلام *

خير للانسان الغير المهذّب ان لا يعاشر الناس
احبّ معاشرتهم فليتعلّم اوّلاً ادب الرب
ب طاعة *

ذا اردت الحصول على محبّة الله وحفظ
مع اخوتك فقاوم ارادتك واجتنب الاعجاب
ك وتواضع في كلّ شيء *

٢ : ان الانسان كثيرًا ما يعمل اعمال الجـ
ويظنها اعمال فضيلة . فاعمال الجسد هي شـ
المسكرات ومصاحبة النسآء والاستلذاذ بالا
واللبس والنوم والاكثار من الكلام والخر
واهمال الشغل والصلوة والمسارعة الى المائدة والتـ
عن الذهاب الى الكنيسة *

اما اعمال الفضيلة فهي المنافيات لما
وزد على ذلك ما جآء في رسالة بولس الرسـ
الاولى الى اهل قورنثية حيث يصف المحبة فيقو
« المحبة هي ذات صبر ورفق . المحبة لا تحسـ
المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تاتي بقباحة . ولا تـ
ما هو لها . ولا تغضب . ولا تفتكر بالسوء
تفرح بالاثم بل تفرح بالحق . وتصبر على
الاشياء . وتصدق كل الاشياء وترجو كل
وتحتمل كل شيء » (١ قورنثية ١٣ : ٤–٨)

الفصل الثاني عشر

في ألزهد والعفّة

ن القناعة في الاكل والشرب تولي النفس
صحّة وعافية والنقصانات تعلّمنا محبّة الفقر *
ن لا تنال يدُهُ افراح الارض وخيراتها
نها فليس لهُ في ذلك كبير فضل امّا من
ول الاستلذاذ بتلك الافراح والخيرات
فيها ففضيلتهُ نادرة ذات ثواب جليل *
رة الاموال تجلب الخصومات وتولّد
. والعفّة مع الفقر هي آمن منها مع الثروات
. وفي امانة الجسد شفاء النفس *

ن انكسار القلب يمنع الضحك . ومخافة الله
الكبرياء *

غي لمن اراد ان يكون قدّيساً ان يحترز

من ملامسة الاجساد لانّ الاجساد لا تلبث
تستحيل بعضها *

ان العفّة لا تستتم في محبّ الجمال و
جسدهِ . فعلى العفيف اذن ان يعشق جمال
ويكلف بحبهِ لا غير . واذا اراد الجسد ان ي
الى محبّة الاجساد وجمالها الكاذب الزائل فل
بهذا كلام المزامير : « نصيبي هو الله . ومن
الرب » *

من يحبّ الاختلاء يسلم من ادناس
ومن ينظر الجسد بمثابة سجن للنفس مزمعاً
يصير تراباً وفساداً لا يعتني بهِ غير الاعتناء اللا
٢ : من ينظر الى ظواهر الانسان و
بحُسنهِ وقوّة بدنهِ يشتغل بالباطل ويحرم
افراح الروح القدس *

انّ القدّيسين لم يتنعموا بتعزيات الر

وافراحهِ الّا لزهدهم في افراح الجسد
تحمّلهم مضايقاتها *
رون هم اعدآء العفة غير انّ من يتواضع
امام الرب تذلّلاً حقيقيًّا ويستغيث بهِ
تجربة ويصون حواسهُ كل حين يفوز
بالظفر تحت راية يسوع المسيح *

الفصل الثالث عشر

رياضةٍ مفيدة جدًّا هي التأمل في حياة يسوع المسيح وآلامهِ

سن رياضة يمارسها الانسان واعظم عذوبة
ي حياتهِ هما التأمل في حياة سيّدنا يسوع
وآلامهِ اذ هو معلّمنا الحقيقي الكامل في
العملية كما في الحيوة العقلية . وتعاليمهُ منزّه

عن الضلالة وكثرة البيّنات يجد فيهِ الا
ما لا يجدهُ الّا نادرًا في بقيّة العلوم *

فأقوَم طريق وآمن سبيل للبلوغ الى
والى انارة النفس والدخول الى الحيوة
هو المشابهة بابن الله في جميع فضائلهِ وا

تعلّم ان نرتّب جميع رياضاتك ونقصد
محبّة يسوع وكرامتهُ . تفكّر بيسوع في كلّ
ومكان . تصوّرهُ حاضرًا امامك وأحنِ ر
باحترام عظيم وعبادة عند استماعك اسمهُ القد
وعظّمهُ وبجّلهُ وخبّر بعجائب رحمتهِ ورافتهِ
وعلى سائر البشر ما استطعت . لانّك مهما
في مديحهِ او صنعت لتمجيدهِ فهو دون استحقا
لا يحدّ *

واليك واسطة يمكنك بها ان تفي شكر
وسائر واجباتك نحوهُ وهي ان تعترف امام

عن ايفآء نذورك لهُ وتلتمس من الرب
ان يفيها عنك سيما في ذبيحة القداس · وهذا
داود النبي بقولهِ : « بماذا أُكافىء الرب
ما أحسن بهِ اليَّ · كاس الخلاص اتناول
الرب ادعو » (مز ١١٥ : ١٢) *
: امتثل حياة يسوع المسيح الكليَّة القداسة
على قدر وسعك بفقرهِ وتواضعهِ وصبرهِ
رهِ لهذا العالم *
ذكر انهُ لاجلك اشتغل منذ ولادتهِ المقدَّسة
موتهِ على الصليب ولاجلك ايضاً تألَّم وبذل
كلها الامر الذي لم يصنعهُ احدُ الملائكة او
القديسين · فكم يحقُّ لهُ عوض ذلك ان تحبهُ
كل شيء وتستغيث بهِ على الدوام وتكرمهُ
في كلّ وقت وحين *
معرفة يسوع المصلوب كانت تلوح للطوباوي

بولس الرسول حكمةً تفوق كل حكمة وعلمٍ و
هذه الحكمة كانت كل علومهِ ومعارفهِ الكثيرة
لهُ كالعدم ولذا احتقر كلّ شيءٍ ووطئ با
شهوات الجسد وقال وهو ممتلئ من روح القدس
« حياتي هي المسيح والموت ربحٌ لي » *

فيا لهُ كلاماً عذباً مفيداً لا يجب نسيانهُ
ويا ما اعظم سعادة وقداسة النفس التي نط
بهِ والمسيح حقًّا حياتها وكلّ شيء لها *

يقيناً انّ حياة من يكون المسيح لديهِ كلا
كلّ شيء ويحبهُ فوق كلّ شيء لحيوةٌ مغبو
وكذا من يمكث في يسوع احرى مما في ذاتهِ
يترك لنفسهِ شيئاً من ذاتهِ بل انّ الحيوة الحق
هي هذه ان يحيا الانسان في يسوع المسيح و
عن ذاتهِ ويعدّها كلا شيء ليربح كلّ شيء
يسوع المسيح ربّنا. وبهذا المعنى قال الرب يسو

ان يخلّص نفسهُ يهلكها . ومن اهلك نفسهُ
وجدها » (متى ١٦ : ٢٥) *
: من يحيا هكذا وان عاش على الارض بجسدٍ
لأنواع الشدائد فانهُ مع ذلك يسكن
في علو السماء حيث يسوع المسيح جالسٌ
الاب . ويرفع اليهِ كلّ يوم تنهّداتهِ واشواقهُ
من الصلوة والعمل حتّى ينال مرغوبهُ *
التفكّر المتواتر في آلام المسيح يوتي النفس
كثيرة . فإن داهمتك مصيبة في الخارج
الباطن فعليك اذ ذاك خاصةً بالالتجاء الى
وع المسيح مردّدًا في بالك عظم الأوجاع
دها يسوع من اجلنا نحن الغير المستحقّين *
ذا يفيدنا التامّل في آلام يسوع اذا لا
ن نحتمل بفرح شيئًا من اوجاعهِ وكيف لا
ونتسلّى اذا اراد الرب يسوع ان يعطينا

ان نشرب شيئًا من كاسهِ ونشعر بقليل من الآ
ولهذا السبب كان جميع القدّيسين يفر
بشدائدهم ويحتملون اوجاعهم بصبر ومحبة على
معلّمهم الالهي *

الفصل الرابع عشر

في ذكر العذرآء مريم المغبوطة وفي الاستغاثة

يليق بك ان تذكر في كلّ شيء مريم الع
المغبوطة امّ يسوع المباركة وتستجير باستحقا
وصلواتها وتلتجيء قريبًا منها في جميع ضرور
مثل ولد مجروح يلتجيء الى امهِ المحبوبة *
لانّ اسم مريم الحلو يُعطي المستغيث والم
بهِ ثقةً لانها مستعدّة من ثمّ أن تقول لابنها يـ
قولاً حسنًا في النفس المبتلاة بالمحن والتجارب

قيقة لو لم تصلِّ مريم العذرآء كلّ يوم مع
السمآء لاجل العالم لما كان بقي العالم في
وهو يهين الله بخطايا عديدة ولا يكاد يندم

ب اذن على جميع المومنين بيسوع المسيح
كانوا ام خطاة أن يستغيثوا بمريم العذراء
ذلك خاصةً على الرهبان والمتعبّدين الذين
وا عفتهم ويتوقون الى السمآء باشواقٍ مقدسة
مشاركة العالم في شيء من افراحهِ وخيراته *
: ولكن ماذا يجب أن نطلب في صلواتنا
يم العذرآء . لنطلب منها غفران خطايانا
العفّة ونعمة التواضع العزيزة على الله في
وسائر النعم التي نحتاج اليها لتقدُّمنا في
. وحصولنا على ملكوت السمآء *
يحنا ما ابعدنا عن الفضائل الحقيقية عن التواضع

البليغ والفقر المقدّس والطاعة الكاملة والعفّة ال
والتامّل المستوعب عبادةً والمحبّة المفعمة حر
وسائر الفضائل التي كانت موجودة بملئها
مريم ام يسوع *

فلنترامَ اذن على قدميها ترامي فقير متس
لكي تنال لنا الصعود ولو الى درجة واحدة
فضائلها *

اذا اردت الحصول على شيء فاطلبهُ بتو
بواسطة مريم العذرآء الطوباوية لانّها تس
الاحيآء والاموات باستحقاقاتها الجليلة *

انّ نعمتها ومجدها يفوقان نعمة جميع قدّ
السمآء ومجدهم وما نالتهُ من ابنها يسوع تريد
تستخدمهُ الان لنفعنا نحن المسجونين في هذا الع

فلنثق اذن بها ولنستجر بشفاعتها فانّ صل
مقبولة لدى الله عزّ وجلّ *

الفصل الخامس عشر

الاستغاثة بصلوات القدّيسين بادمان

نهل الاستغاثة بالحاجة بصلوات القدّيسين
في السماء مع يسوع المسيح لانّك تحيا كما
وادي دموع وتقضي ايّامك بين اعداء
الباس ولا تزال بعدُ بعيدًا عن الله بعدًا
*

طالب اذن مدّة نفيك صداقة القدّيسين
الله وودّهم مودّة خصوصيّة واترك جانبًا
لات البشريّة والمكالمات الفارغة *
صلاة قدّيسٍ واحد تفيدك اكثر من
جميع اصدقائك وما تشعر بهِ النفس من
يسوع المسيح الباطنة تجلّ بما لا يُحدّ عن
سليات البشر وافراحهم *

انّ الرجل البار يتمتّع في الباطن بفر
يدركهُ الانسان الشهواني المحبّ للارضيات *

٢ : طوبى لمن لا يطلب تسليتهُ من ال
لكن في القراءات المقدّسة والصلوات الورعة
تسوق الانسان الى حسن السيرة والى محبّة الا
السماوية كما عمل القدّيسون الذين احت
الخيرات المنظورة *

كلّ انسان يحبّ مصادقة اناس
فالصالحون يطلبون مصاحبة اناسٍ صا
والاشرار يحبّون من كان نظيرهم *

اذا كنت تريد ان تملك مع القدّيسين
السماء وتكون لهم صديقاً فينبغي لك ان تتألّم
لاجل الله وتتذلّل نظير القدّيسين على الا
لانهُ لا يفيدك كثيراً ان تكرّم القدّيسين بشف
وسيرتك مخالفة لسيرتهم *

اذا اردت ان ترضي الله والقدّيسين فروّض
ك واكسر ارادتك وقاتل رذائلك واسع في
ب الفضائل واقرأ تراجم القدّيسين وتعاليمهم
كون قدّيساً نظيرهم وتتهذّب بواسطتهم
كهم في اكليلهم ومجدهم *
ن القدّيسين يحبّون كثرة التنهّدات الموجّهة
سماء والتوجّع على الخطايا وحفظ اللسان
ت في التوبة والشوق الى التقدّم في الفضيلة
ر على الشدّة والشكر على الاحسانات والترتيل
والسهر الذي لا يخالطهُ حزنٌ والتسابيح
يم والاقرار بالذنوب وطلب الغفران واقامة
يس ودموع الصلوة العقلية وسائر فرائض
ن *
: ان القدّيسين يجيبون بمسرّة وطيبةٍ الى
نا اذا كانت مستوفية الشروط : كيف لا

وهم الذين مدّة ترددهم على الارض قد ...
كثيرًا لاجل اعدائهم *

انّ القدّيسين كانوا بشرًا نظيرنا خاض...
لانواع الشرور وكثرة المحن والتجارب بل و...
من عاش في الخطيّة زمانًا طويلاً بيد انّهم استف...
من انارة النعمة لهم ولم يدعوا نعمة الله باطلة ...
بل انهم منذ اوّل شعورهم بها اخذوا يجد...
ويجتهدون معها في ترك الخطيّة وقلع الر...
واكتساب الفضيلة والتقدّم في محبّة الله بالصلو...
اللفظيّة والعقليّة . ولم يألوا جهدًا حتى ظف...
بجميع اعدائهم ونالوا ما تمنّوا وهم الان في ا...
يشكرون الله ويحبّونهُ ويسبّحونهُ ويتنعّمون بمشاه...
وحضرتهِ ويشربون من وادي لذّاتهِ . وسعاد...
هذه تدوم الى الابد *

فليشجّعنا اذن مثالهم وليزد ثقتنا ورج...

غث ايضاً باسمائهم ولنكرمهم بانواع الاكرامات
ق نفوس العابدين قد اختبرت بنوع عجيب
صلواتنا الى القدّيسين واستغاثتنا بهم سيّما
تحتفل الكنيسة بأعيادهم *
ان الانسان الحزين الكئيب يطلب في حزنهِ
ن اصدقائهِ لكي يسلّيهُ باقوالهِ ويشجّعهُ بمشوراتهِ .
ب انت ايضاً في احزانك وضيقاتك تسلية
سين اصدقائنا المحقّين واعرض عليهم
اجاتك واستغث بهم بثقةٍ . لانهم قد عرفوا
اقامتهم على الارض شقاء الانسان وكثرة محنهِ
ة تجاربهِ ولذلك نراهم الان لامتلائهم من محبّة
ب يرقّون لنا ويجيبون الى صلواتنا إن صلّينا
بثقة وإيمان *

الفصل السادس عشر

في الشوق الى ملكوت السماوات

انّ شوق القدّيسين الوحيد الفريد في
الدنيا هو ان لا يشاركوا العالم في شيء من خي
وافراحهِ بل ان يطلبوا دائمًا باحتقارهم الارضي
مشاهدة يسوع المسيح ومصاحبة ملائكتهِ *

ولذلك كان الطوباوي بولس المغرم ب
يسوع المسيح يحتقر كلّ الاحتقار جميع خير
الارض ويقول عند تأجّج شوقهِ الى السماء : «
اطلب انحلالي لاكون مع المسيح » *

انّ هذا الشوق لا يُعطي للجميع لكن الكاملين ف
الذين يقدرون ان يقولوا : « حياتنا هي في السماء
قليلون هم الحاصلون على هذا التجرّد والموجّ
جميع عواطفهم نحو الابديّة محتقرين كلّ كرام

ا وغناها *
اما الذين يحبون يسوع المسيح فيفرحون
م وحقاراتهم ويحفظون قلبهم في التواضع
ون ذراتهم بدقة حتّى على اخفّ الاهمالات
ون جسدهم حاجاتهِ الضرورية بقناعةٍ وخوفٍ
فون بأقلّ من الواجب فهؤلآء هم الذين
ون الدنيا تماماً ويدعون اصدقآء الله
عون الى الوطن السماوي متأهّبين كلّ حين
ج من جسدهم الفاني ليبلغوا سريعاً الى يسوع
اذ ليس لهم في هذا العالم ما يمسكهم ويعيقهم *
٢: سعيداً لمن كانت هذه الاشواق اشواقهُ ويزداد
يوم حرارةً ولا ينفك يصلّي ويصرخ الى
ع حتّى يفتح لهُ باب السمآء ويدخلهُ الملكوت
ي وعد بهِ جميع المومنين بهِ *
فيا لهُ وطناً مغبوطاً يملك فيهِ الفرح الدائم

والسلام البليغ ومعرفة الله البيّنة الجلية والمحبّة الكا
والسعادة التامّة *

انّ يوماً واحداً هناك خير من الوف في
الدنيا . اذا لا يوجد هناك نقص في شيء . اما
فيوجد الشقاء البليغ والسلام النادر والعلم القليل
ولكن ماذا نستطيع نحن الاشقياء ان
في سعادة السماء وكيف يمكننا نحن المائتين
نفهم شيئاً من تلك الابدية والحيوة الغير الفا
لعمري انّ هذه الحيوة الابديّة لا تزال مستترة
في هذا وادي الظلام لا نفهم منها الاّ النزر الق
وذلك بواسطة الامثال والالغاز *

فلننحُ اذن انفسنا المحتاطة بظلام هذا العالم
افراح النور الابدي وعلى صُحبة سكّان الوطن السما
ولنرتفع بالحاظنا على الدوام الى العُلى حيث يج
يسوع المسيح في مجد ابيهِ الى دهر الداهرين آمين

EXERCICES SPIRITUELS

كتاب

ترويض النفس النقية في الرياضات الروحية

وهو

الكتاب الحادي عشر

من منتخبات الموقّر توما الكمبيسيّ

توطئة المعرّب

اننا عند بلوغنا هذا كتاب الرياضات الرو
وشروعنا بتعريبهِ وجدنا اكثر فصولهِ وعباراتهِ تـ
معاني قد سبقت وتشمل الرهبان خاصةً . فر
الاوفق ان نتصرّف بهِ ونجعلهُ يعمّ بفوائد
النفوس التي تطلب ان تعيش عيشةً باطنة سـ
كان ذلك في دير او خارجاً عنهُ . ولهذا حذ
بعض فصول وعوّضنا عنها باخرى اقتطفناها
كتب المعلّمين الخبيرين بالسيرة الباطنة وعلمنا
بجملتين متشابهتين وجمعنا بعض فصول بغيرها نشـ
ونقلنا لسبب المشابهة ايضاً بعض فصول
كتيّبات المجلّد الخامس والحقناها بفصول
الكتاب كما الحقنا بعض اعداد من هذا الكـ
نفسهِ باعداد الكتاب السابق لهُ *

الفصل الاوّل

تحريض شديد على الفضيلة

قال بولس الرسول : « تجدّدوا بروح ضميركم
وا الانسان الجديد » (افسس ٤ : ٢٣) *
انّ العابدين قد اعتادوا رياضاتٍ حسنةً
نشّطون انفسهم كلّ يوم على التقدّم الروحي
الفضيلة . ولذلك يطلبون الانفراد ويجتنبون
ضاء ويُمعنون النظر في سيرتهم . واذا زلّوا
وا الى القيام باجتهاد وندامةٍ نصوح .
ظون على افكارهم وينظرون في العواطف
تحرّكهم ويقاتلون طيش القلب بصلوة عقليّة
رة وبالتأمّل في الكتب المقدّسة ويقولون :
ريق الزور أبعد عنّي . وبشريعتك ارحمني »
ور ١١٨ : ٢٩) *

لانّ من لا يجتهد في رياضات العبادة البا
يتيه لا محالة هنا وهناك ولا يلبث ان يتد
بالرذيلة *

واوّل جميع الرياضات وأنفعها لتطهير النـ
هي معرفتها لاهواء الخطية وطلب شفاءها من
بدموع ونحيب *

انّ المرضى المساكين الممتلئ جسمهم قر
اليمة يطلبون من العابرين بحرارة وتوسّلات ر
علاجًا لامراضهم فيصف لهم كلٌّ من المارّين
يظنّهُ موافقًا لمرضهم فكيف الرب الرؤوف الر
يرذل صلاة قلوب منكسرة تنوح على امرا
وشرورها ابتغاء الخلاص الابدي *

فاتّخذ لك رياضات تناسب حالتك وتو
احتياجاتك وتدرّب بها في الليل والنهار لكي
تمضي ساعة من حياتك بدون فائدة *

٢ : لا تمتنع من الرياضات العمومية من اجل
انك الخصوصية بل ينبغي لك بالعكس ان
في رياضاتك غيرةً على اتباع رياضات
ر لكيلا تفقد شيئاً من السلام الباطن لكنك
القريب مثلاً صالحاً *
اذا اصابك عارضٌ يمنعك عن تتميم ما بدأت
جتهد بان تعود اليهِ في اسرع وقت يمكنك
*
راجع غالباً دفتر نقائصك لتقف على تقدمك
خرك وارسم لك قانوناً بموجب النعمة التي
لانّ الانسان لا يعمل الصلاح الاّ بعذوبة
ح القدس والقلب الوديع الوضيع يستحق هذه
وبة بسهولة عظمى *
انّ الحكيم من شانهِ ان يرتّب حياتهُ ويقصد
من اعمالهِ غاية حسنة وينبغي لهُ ايضاً ان

يتخذ الوسائط الجديدة بان تبلغهُ غايتهُ هذه . ف
واحدٌ يحكم عملهُ الحكيم ينفع اكثر من اهتمام الجا
باعمالٍ كثيرة *

من يعمل اعمالاً في غير وقتها او يتكلم
دون ان يفتكر في نتيجة كلامهِ يهين قريبهُ بس
ويحصل لهُ اهانات تسوقهُ الى الندم . اما من ي
اعمالهُ في وقتها ويُمعن النظر في نتيجة اقوالهِ ي
دائمًا بنجاح يغبطهُ *

٣ : اذا كنت في حالة حسنة تتنعم معها بعذ
الروح القدس في باطن قلبك فلا تعتمد
حالتك هذه وتتعرض للاخطار كانك غير ق
للسقوط بل ان تعرضك هذا شرٌّ من شانهِ
يزيل عنك شيئًا فشيئًا عذوبة الروح القد
وحرارتهُ ويورطك في شرور كنت تكرهها في ا
الامر وتحسب ذاتك معصوماً منها *

عنه حقيقةً يشبهها مثال كثيرين كانوا يتنعمون
لسماء ويأكلون خبز البنين ويحبون يسوع من
قلوبهم فنسوا ضعفهم ولم يذكروا انهم تراب
سون بين اعداء اشد باساً منهم يدسون لهم
دهم سيما حين كانوا في امن منهم . فعرّضوا
م لانواع الاخطار وما لبثوا ان سقطوا سقطةً
تهم بل اهلكتهم *
اما القديسون الذين تقدّموا في القداسة
فيها فكلما زادوا نعمةً زادوا ايضاً في الوقت
خوفاً وحذراً من ضعفهم وميلهم الى الشر
ذلوا مشورات الآباء والشيوخ وذوي الخبرة
احسنوا العمل بموجبها فبلغوا مقرّ السعادة
ة وسلموا من حبال الحيّة الجهنمية *
فاذكر اذن ضعفك دائماً وخف منهُ ابداً ولو
ت الله نظير بولس الرسول الى السماء الثالثة *

الفصل الثاني **

في اجتناب العجلة وكثرة الافعال في العباد

انّ المتعبّدين كثيرًا ما يصيبهم في
عبادتهم احدُ هذين الامرين : امّا ان يطلبوا
يرتفعوا في يوم واحد الى أعلى درجة من الك
وامّا ان يكثّروا صلواتهم كانّ الكمال قائمٌ به
الكثرة *

فينبغي لنا في بدء عبادتنا ان نجتنب الع
والاهتمام الزائد منتظرين بعد ان سلّمنا ذواتنا
ذراعي رحمة الرب وعنايتهِ ان ينقلنا شيئًا فش
الى الكمال الذي يريده هو *

لا بدّ من الزلّات في اكتساب الفضائل
انّ الفضيلة هي اصلاح الزلّات المضادّة لها ونقلي
فمن يترك طريق الفضيلة لعثرةٍ اصابتهُ يجر

الفضيلة ومثلهُ مثل من يطلب ان يتعلّم
ة من دون ان يغلط غلطة واحدة حين
فيها *
حفظ في اشغالك الخارجة راحتك الباطنة
انّ نفسك لا تزال متحدةً بالله وقتما يكون
ك مشتغلاً بامورهِ او بخدمة القريب ولمّا
ت هذه الرياضة صعبة على المبتدئين يحسن
ان يتفرّغوا للاعمال الروحيّة الباطنة اكثر
تفرّغهم للاعمال الخارجة الزمنيّة وان كانت
لاعمال حميدة في ذاتها *
انّ الاعمال الخارجة مهما كانت صالحة فهي
قدرًا من الاعمال الباطنة التي توصلنا بالله
والحالة هذه ينبغي لنا في كل شيء ان نفضّل
الله على ارادتنا ونضحّي لها جميع عوائدنا اذ
حسن عائدة لنا هي ان نعمل ارادة الله دائمًا *

٢: واجتنب ايضاً في العبادة كثرة الافع
فلا نطالب ان نصلّي كلّ الصلوات او نشتر
في كلّ الاخويات او ننتقل من فعل الى آ
لانّ الحاجة الى واحد . واذا جدّيت في اد
غايتك بوسائط قليلة وثبتّ فيها فذاك خيرٌ
من ان تكثّر الوسائط ولا تستطيع ان تثبت
بعد خمود حرارتك الأولى فتترك جميعها وتر
الى الوراء *

انّ النفس العابدة حقاً لا تهمل شيئاً
واجبات دعوتها او واجبات الآداب المد
كالزيارات الضروريّة والمآدب الوفائيّة وما ا
ذلك بيد انّها تجعل في راس جميع واجب
الاتّحاد بالله والخضوع لنعمتهِ على الدوام *

وانّها تؤدي للقريب كلّ الخدم المفرو
عليها بيد انّها قبل مباشرتها هذه الخدم تنت

دّم لها العناية الربانيّة الفرص المناسبة فتتكلّم
ل في سلام بموجب ارشاد النعمة لها ولا تطلب
ه ان تكون وحدها مع الله *

ان النفس العابدة لا تطلب حتّى في احسن
ماه التي تمجّد الله فيها اكثر تمجيد ان تتصرّف
ب مسرّتها او تخطو خطوةً واحدةً إن لم
وها الرب الى ذلك. فتمكث في مصر مع
لة المقدّسة او مع الشعب الاسرائيلي الى ان
ها الرب بالخروج منها والذهاب الى ارض
طين *

فسقياً لنفسٍ هذه صفات عبادتها فانّها تمجّد
حناً وتبني القريب وتحمل الاشرار انفسهم على
يحترموها ويوقّروها *

الفصل الثالث

في ارتفاع الانسان بقلبهِ الى الله تعالى

ارفع قلبك الى الله في اوّل اشغالك
تستعظم ما قلتَ او عملتَ من الصلاح . ليت
تقدر ان تصرف ولو نهارًا واحدًا بل نص
ساعةٍ في التفرّغ التام لله لكنّك واحسرتي مش
البال بعيدٌ عن كمال الطهارة حتّى في الاما
المقدّسة *

لا تدع ساعةً تمضي من دون ان ترفع
قلبك الى الله بنافذة روحيّة او صلوة وجيزة . ف
الرب يسوع : « من لا يجمع معي يفرّق ومن
يكون معي فهو عليّ » ومعنى ذلك انّ من
يكون مختليًا بذاتهِ مع الله ويتفرّغ للامور الخارج
يُضحي شديد الميل الى الشر ضعيف الهمّة في مقاومتـ

لا تنسَ خلاص نفسك ابدًا لانّ من لا
بأمر خلاصهِ على ممرّ الدقائق لا يلبث ان
غل عنهُ بكثرة ملاهي الدُنيا *
لتكن عيناك امامك في كل حين لانّ فخاخ
و الخبيث مكنونة في كلّ مكان ليمسك بها
س التائهة *
٢ : اطلب الرب تجدهُ . اصرخ اليهِ ولا تملَّ .
لهُ مثلاً : « هلّم يا رب اليّ ولا تُبطىء . اللهم
ع الى اغاثتي . اعنّي يا يسوع الصالح فتخلص
. هبني عون نعمتك لأُصلح بها سيرتي *
ارتضِ يا رب ان تكون معي فانّي احبّ جدًّا
اكون معك . يا رب انّي لاجلك بدأتُ عمل
صي ولاجلك تركتُ هذا العالم معانيًا هذه المحن
يقات . لاجلك اموت كل يوم ومن اجلك
ت مثل انسانٍ جاهل لا نفع فيهِ . ولاجلك

ايضاً اقبل التاديبات والتوبيخات وسائر الاهانات
واحني كاهلي للسهر والصوم والاشغال الشاقة وس
الاتعاب وكل ذلك فرضٌ عليَّ تسرّني تاديبهُ الد
لانك تستحق حقّاً هذه الخدم وسوف تكافئني مكا
وافرة حينما يسرّك ذلك *

يا رب استر عبدك تحت جناحيك فلا ي
يخشى الجسد ولا البشر. يا يسوع ربي كن ملج
وتعزيتي الوحيدة. كن لي حبيباً لانّ جميع اصدق
تركوني *

كن رجآئي يا يسوع لانّ الرجآء بالنا
باطلٌ. كن فرحي وسروري لانّ جميع افراح ه
العالم عدم وضياع. كن لي دليلاً وصديقاً ور
في هذه الطريق التي اسلك فيها لانّ البشر
يلبثون ان يتركوني بحاجتي ويفارقوني *

لك يا رب اوجّه اغانيّ وفيك تعزيتي و

تي فكن خلاصي ومجدي وحبّي وعذوبتي *
هبني ان احب صليبك واتبعك في الامك .
جروحك في قلبي واعطني ان احتمل حسب
قي الاهانات والشتائم من ايّ جهة اتتني وان
ه بك في حياتي وعند مماتي *

الفصل الرابع **

في طهارة النيّة

كلام المعلّم الالهي : اني كلّمت اليهود بامثال
وسة ظاهرة قريبة من اذهانهم الغليظة لعجزهم
ادراك الاشياء الروحيّة الباطنة فقلتُ لهم :
كانت عينك بسيطة فجسدك كلّه يكون نيّراً »
٦ : ٢٢) بيد اني اكلّمكِ الان يا نفسُ بنوع
ح واجلى فاقول لكِ : « اذا كانت نيّتكِ

طاهرةً فجميع اعمالكِ تكون مقدسةً نيّرةً »

صوت التلميذ : « عرّفني يا رب طُرُقك وسُبُلك علّمني . ارشدني بحقّك وعلّمني » (مز٢٤ :

لاني لا ارغب في شيء من هذا العالم مثلما ارغ في استماع كلامك واتّباع تعاليمك فقل لي رب كيف تكون نيّتي طاهرةً *

صوت المعلّم الالهي : يا بُنيّ ان نيّتك تكو طاهرةً اذا قصدت الله ببساطة في كلّ اعما واقوالك وحركاتك ومشروعاتك . اذ انّ كثي من المتعبّدين والاتقياء لا يتوخّون في عباد وتقواهم واعمالهم الصالحة مجدي ومسرّتي فقط لك يقصدون ايضاً بل خصوصاً عوائدهم الشخص كمديح الناس والسمعة الحسنة والكرامات الزمن والراحة الباطنة والسعادة الروحيّة وما اشبه ذلك ولذا عبادتهم تكون ناقصة سريعة الزوا

محنة *

اما المتعبدون المزدانون بطهارة النية فلا
ـون الى ذواتهم ولا يهمهم شيء في الدنيا
خرة سوى ان اكون انا وحدي ممجدًا ومسبحاً
كًا على كل القلوب بحيث انهم « يودون لو
نوا هم نفسهم محرومين من المسيح من اجل
تهم » (روم ٩ : ٣) *

انهم بتجردهم هذا التام من ذواتهم وقصدهم
ي لا غير في كلٍ من اعمالهم الباطنة او الظاهرة
ن من المجد والمدحة والسمعة والكرامة والراحة
سعادة ما يفوق نصيب غيرهم وان كانوا هم
لتفتون الى شيء من ذلك ويتغافلون عنهُ
نهُ من المحال ان لا اكافئه بأحسن المكافآت
يمجدني لذاتي ويكاد يضحي عوائده الشخصية
مجدي وتقديس اسمي *

٢ : صوت التلميذ : فاذا كانت هذه حـ
النيّة الطاهرة فطوبى ثم طوبى للنفس المزدانة
اذ انّ قداستها ليست بقليلة ومهما عملت تكو
اعمالها ذات استحقاق جزيل . ولكن كيف البلو
الى هذه طهارة النيّة ومن يرشدني اليها غيرك ا
يا ربي والهي *

صوت المعلّم الالهي : « اذا كنتِ ايتها النفـ
العزيزة ترغبين من كلّ قلبكِ في الحصول
طهارة النيّة فدونكِ الطريق المؤدّية اليها . فوّ
اليّ امرَ قداستكِ وخلاصكِ ودعيني اعمل فيـ
ما اشاء لان خيركِ قائمٌ بان تكمّلي انت مشيـ
لا بأن اكمّل انا مشيئتكِ . واذا ما كمّلتِ مشيـ
كلَّ حين وفي كلّ شيء وتركتِ جانبًا مشيئتـ
واهوائكِ بلغتِ عاجلاً الى طهارة النيّة واحسنـ
تمجيدي وتسبيحي *

بيد أنّي انبئُكِ بأن سيصيبكِ ضيق وسيشقّ
ـِ ان تعملي دائمًا ارادتي اذ انّ الطبيعة لا تسرّ
ال التي تلاشيها وارادتي هي ان الاشي الطبيعة
ها « لان حبّة الحنطة ان لم تقع في الارض
بقيت وحدها وان هي ماتت انت بثمار
رة » (يوحنا ١٢ : ٢٤) *
ولكن ثقي انكِ إن فوّضتِ اليّ امركِ خوّلتُكِ
بهِ تقوين على احتمال كلّ المشقّات والصعوبات
ين بواسطة هذه المحن نفسها الى الاتّحاد بي
ن واسطة وتُطهّرين هكذا شيئًا فشيئًا من خمير
الذاتية » *
٢ : فيكفيكِ اذن ايتها النفس العابدة لتكون
اعمالكِ معمولة بنيّة طاهرة ان تقصدي مرّة
ـة ان تكفري بارادتكِ وتعملي بارادة الله طالبةً
ته لا غير في كلّ اعمالكِ وافكاركِ واقوالكِ

واوجاعكِ ومحنكِ وتجاربكِ وفي كلّ ثانية
حياتكِ ويحسن بكِ ايضاً ان تجدّدي كلّ
صباحاً هذا القصد وتمتنعي بعدئذٍ من ان تقصد
بكلّ من أعمالكِ التعويض عن خطاياكِ او اكتسا
الفضيلة الفلانية او استمداد النعمة الفلانية وما ا
ذلك لانّ القصد المومأ اليهِ يحوي كلّ هذهِ الغايات

ولكن يمكنك والحالة هذه ان تصلّي ايضاً بع
الصلوات على نيّاتٍ خصوصية إن شئتِ ذلك

الفصل الخامس **

في اغتصاب الذات

« ملكوت السماوات يُغصب والغاصبون يختطفون

(متى ١١ : ١٢)

انّ طريق السماء ضيّق لكنهُ عذبٌ ايضاً

ضيق لانَّ من يسير فيهِ يفرض عليهِ ان يسيح
اهوائهِ بسياجات الوصايا الالهيّة والمشورات
لية. وانهُ عذبٌ لانَّ من يكون قد تسلط على
و وأخضعها لسلطان العقل والنعمة يتنعّم براحة
ن وشهادة ضمير صالح وعذوبة الروح القدس *
كثيرون يطلبون التمتّع بحلاوة الفضيلة لكنَّهم
يدون ان يعانوا في اكتسابها المحن والصعوبات
لا بدَّ منها . ويتوقون الى افراح السمآء لكنَّهم
ن الامتناع عن افراح الجسد والعالم وهذا
وجدوا في عبادة الله وخدمتهِ ما يلذّ لهم
تهم ثبتوا فيها ومتى شعروا باليبوسة او بشيء
يشقّ على طبيعتهم تركوا العبادة والتقوى
لوا عليها المسير في طريق الهالكين الواسع
ن انفسهم بحجج واهية تزيدهم اثماً وهم لا يعلمون *
وهذا ما حمل الفادي الالهي على ان يقول :

« انّ المدعوّين كثيرون والمنتخبين قليلون » *

انّ الله يعاملنا في بدء تعبّدنا لهُ بكثيرٍ
اللطف لكي يستميلنا اليهِ فيفيض في نفسنا سلا
جزيلاً وفرحاً لا يوصف ويجعلنا نستطيب الاخت
والسكوت وسائر رياضات التقوى ويسهّل
ممارسة الفضيلة فلا يشقّ علينا وقتئذٍ شيءٌ ونظ
انّنا قد ادركنا الكمال وبلغنا الى ذروة القداسة

بيد ان الله محبّنا الحقيقي لا يتركنا في حال
هذه مدّة مستطيلة كما انّ الام مهما كانت حنو
شفوقة على ولدها لا تتركهُ يرضع لَبَنها ز
طويلاً لكنّها تفصلهُ عن الرضاع منذ تراهُ د
وقت الفطام *

فكذلك ابونا السماوي المستوعب قلبهُ
لنا لا يلبث ان يفطمنا عن لَبَن تسلياتهِ منذ بر
بالغين اوان الفطام لانّ النفس لا تبلغ اشدّ

ايات فقط كما ان الانسان لا يبلغ اشدّه
سب فقط *
٢ : واذا ما فصل الله النفس عن تدبي
انهِ ياخذ اذ ذاك ان يُريها بنور نعمتهِ نقائصها
ئبها ويخوّلها في الوقت نفسهِ ارادة قويّة لاصلاح
النقائص واجتناب شرورها *
ويُريها ايضاً بتتابع لئلاّ تفشل عظم شقائها
حالها بل انّ عبادتها نفسها تبين لها مملوءة
ب وعيوباً وبعد ان كانت تحسب انها تحب
تشاهد الان انّها تطلب ذاتها في حبّها لله
ص لها مواهبهُ وتحتقر غيرها وغير ذلك من
ور فتتيقن حينئذٍ بُعدها عن الكمال الحقيقي
ادة الصادقة *
واذا كانت النفس شجيعة امينة تتواضع اذ
بدون قنوط وفشل وتضع كلّ ثقتها في الله

مستحلفةً اياه ان يساعدها على الصلاح والكمال

ثم انها تشمر عن ساعد الجدّ وتنزل الى ميد
الحرب راكنةً الى معونة الرب نظير داود ال
وتحارب جليات الجبّار حتى تصرعهُ على الحضيض

وهذه هي غاية الله في امساكهِ عنّا غالبًا عذ
تسلياتهِ الباطنة لانّ النفس طالما لا تشعر بشقا
وكثرة امراضها لا يُعنيها امرُ شفائها ونجاتها *

٣ : واذا افرغت النفس كلّ جهدها
ابادة اعدائها وخارت كلّ قواها لم يعُد يبقى
وقتئذٍ سوى ان تترك الله يعمل فيها ما يفو
الطبيعة لانّ الانسان كلّما تقدّم في القداسة يحتا
الى قوّة عُظمى ومتى دخل اطوارها العُليا يبط
عملهُ ويبتدىء عملُ الله الخاص واذ ذاك يص
فيهِ هذا كلام الرسول : « انا حيّ ولست انا
المسيح يحيا فيّ » (غلاطية ٢ : ٢٠) *

بيد انّ هذا عمل الله المحض في النفس يشقّ
جدًّا وان كان يقرّبها من الكمال اكثر فاكثر
طالما تعمل هي مع الله تتسلّى بعملها هذا
صّ لها شيئًا من غلباتها . ولكن متى استغنى
من معاضدتها لا يعود يبقى لها شيء يخصّها
ا ما يشقّ عليها في الغاية *
وداب الله حينئذٍ ان يجرّد النفس ويعرّيها
كلّ التفات الى ذاتها بحيث انها لا تتاسف
نزع الله عنها كلّ المواهب والنعم والفضائل
جاد بها عليها وكانت قد اختصّتها لها *
فيا ما اعظم هذا التجرّد وما اشقهُ على الطبيعة .
يقتضي جهادًا مستطيلاً ومتى انتهينا بموجب
ا الى آخرهِ ينبغي لنا بعدئذٍ ان نخضع لجهاد
فينا . اذ انهُ تعالى سوف يتصرّف في سلطتهِ
النفس كلّ التصرّف ويعاملها معاملة ربّ

مطاق لمملوكٍ لهُ *

فيا ايها الرب الهي اني قد فهمت الان ع
الاغتصاب الذي يفرض على من تدعوُ برحمت
ورافتك الى كمال الانجيل بيد اني لا افزع
ولا ارتعب لانني بك اقوى على كلّ شيء . فار
انك تكمّل فيّ عمل مشيئتك الذي بدأتهُ بعد
اكون قد عاضدتُ نعمتك المعاضدة التي تنتظر
مني وتركتك من ثمّ تعمل وحدك فيّ ما يسرّ
ويرضيك[1] *

(١) انك تجد في هذا الفصل خلاصة خمسة فصو
مرّت بك في كتاب مناجات المرء نفسهُ (المجلد الثاني)
الفصل الثالث عشر وتوابعهُ حتى الثامن عشر .

الفصل السادس

في احتقار التسليات الارضية

ايّها الانسان الشقي ما لك نطالب المدحة
خيرات ليست فيك . انك حقيرٌ من وجوه
رة وكان الاولى بك ان يعلو الاحمرار وجهك
الخجل والعار *
افحص باطنك باستقامة فلا تصدّق عاجلاً
لام الناس ولا الشهرة الباطلة *
رايتُ اناساً يمدحون رفقاءهم في حضورهم
قرونهم ويعيّرونهم في غيابهم شرّ تعيير *
انّك كثيراً ما تغسل يديك وراسك لتُرضي
س وتحملهم على الالتفات اليك وكان الاولى بك
تغسل ضميرك من رذائلهِ لتُرضي الله وملائكتهُ
ين ينظرون الى خفايا القلب *

٢ : طوبى لمن يرذل تعزيات الارض ويحتـ
لأجل يسوع المسيح افراح هذا العالم باسرها *

طوبى لمن يصبر اذا تركهُ الله والناس ويخضـ
لأوامره تعالى في كلّ شيء *

تعلّم ان تستغني عن تعزيات البشر وتنظر ا
بعين العدم . لانّ الثقة بالناس والفرح الزا
بحضورهم او الحزن على غيابهم ضربٌ من البطا
والنقصان *

كلُّ تسليةٍ بشريّة سريعة الزوال لا ثبات
فضلاً عن انّها قاصرة عن ابادة احزاننا ان لم اقـ
انّها علّة اغلب احزاننا *

لتكن تسليتك في احتقار كلّ تسلية بشر
والصبر على ابتعاد التسلية الالهيّة عنك *

ايُّ خير يرجوهُ الانسان من تعزية خارجـ
وجيزة باطلة وايّ سعادة يجدها في الخليقة ا

ن قد ترك الله جانباً *

اذا لا يرتقي الانسان الى الخالق بواسطة
لائق فكلّ تعب ضايع . انّ محبّة الخلائق جائزة
ان استلذاذ الحواس بالاجساد مرذول *

٣ : اذا ادبرت عنك التعزيات يمكنك ان
وض عن حالتك هذه مع صديقٍ لك . وهذا
ع من التعزية البشريّة نافعٌ لك وقد يكون
وريًّا ايضاً لانّ الكلّ لم يُعطوا نظير بولس
سول ان يقولوا : « اني لم اعرف ذلك من البشر
بواسطة البشر لكن بتعزية يسوع المسيح » *

ولكن الذي يقدر ان يصمت ويستغني عن
التسلية ايضاً لهو في كمال اعظم وعليهِ ان يشكر
شكراً وافياً *

الفصل السابع **

في فضل الحبّ على الخوف

قال يوحنا الرسول : « ليس في المحبّة خوف ب
المحبّة الكاملة تنفي الخوف الى خارج » (١ يو٤ : ١٨
كلّما تقدّم الانسان في محبّة الله نقصت مخاف
منهُ بل تحوّلت الى مخافة اخرى هي بنت الحب
اذا اردنا ان نتوب عن خطايانا بليق
اذ ذاك ان نتجرّ في احكام الله المهولة ونخاف م
حكمهِ وعقاباتهِ الأبديّة السرمديّة . لندع هذا الخوف
يعمل فينا كلّ عملهِ ولا نجتهدنّ في تضعيفهِ لا
صادر من الروح القدس ويوهّبنا الى تو
نصوح *

واذا تبنا فليسندنا الخوف ايضاً في ممار
اعمال التوبة والتقشّف لانّنا لو تذكّرنا نيران جه

استحضرناها غالباً ننشّط في احتمال كلّ ضيقاتنا
راضنا التي مهما تعاظمت فهي ليست بشيء
ة الى عذابات جهنم *
لنخف ايضاً من اسباب الخطيئة التي تحدق بنا
كلّ صوب وجانب ومن ضعفنا البليغ وقوّة
كة الرديّة ولنقابلنّ ميلنا الى افراح الجسد
طيّة بالخوف من دينونة الله وقصاصاته الهائلة
تحلّ بمن يخالف وصاياهُ ويقاوم نعمتهُ *
يد انّ الخوف وحدهُ يضرّ بالنفس بل ان
يفضّل الحب لهُ على الخوف منهُ وقد خلق
ب الانسان لكي يُقاد بزمام الحُبّ اكثر منهُ بزمام
وف ولذا جعل المحبة اوّل الوصايا وأجلّها *
٢ : منذ سقط الانسان الاوّل في الخطيئة الى
المسيح كانت الناس تعبد الله بالخوف والوجل
ا تخدم العبيد مواليها . ولكن منذ اعتقنا الابن

الوحيد وصرنا احرارًا بالحقيقة (يوحنا ٨ : ٣٦
فرض علينا ان ننفي الخوف الى خارج ونخد
بالمحبّة كما يخدم الحبيب حبيبه او كما تخدم العرو
عروسها *

اجل ان هذه خدمة الله بالمحبّة كانت مجهو
عند عامّة النّاس قبل مجيء المخلّص ولذا ق
الرب يسوع عند اعطائه لنا هذه وصيّة المحبّة
« اعطيكم وصيّة جديدة » (يوحنا ١٣ : ٣٤) و
قائلاً في محلّ آخر : « لست اسمّيكم بعدُ عبي
ولكنّي سمّيتكم احبّائي » (يوحنا ١٥ : ١٥) *

فبعد رجوعنا الى الله وتصميمنا على حفظ
اوصانا بهِ لا يليق بنا ان نخدمهُ تعالى الاّ بالمح
والفرح « انتم احبّائي إن عملتم ما اوصيتكم به
(يوحنا ١٥ : ١٤) *

٣ : انّ الحبّ هو بالحقيقة العاطفة الأولى

فضلاً عن انهُ يستحقها لكمالاتهِ الغير المتناهية
سانانهِ الغير المتناهية واحساناتهِ الطبيعية والفائقة
يعة ومكافآتهِ الابدية التي وعدنا بها . ثم ان
ب هو وحدهُ يغير حقاً قلب الانسان ويُيلهُ
لله ويعطفهُ عن الخلائق ويلينهُ ويوسعهُ ويرفعهُ
لهُ جديراً بان يعمل كل شيء ويحتمل كل شيء
ل الله *

هذا ويجب على المسيحي ان يجتنب الشرّ ويصنع
ر فمن شان الخوف ان يردّ الانسان عن الشر
انهُ لا يستطيع ان يسوقهُ الى الخير . غير انّ
ب يقدر وحدهُ ان يردّ عن الشر ويحمل على
ر *

فاذا افاض الله محبتهُ في قلوبنا ينبغي لنا اذ
ك ان نسترسل لعوامل هذه المحبة ونبذل كلّ
دنا في تأجج نيرانها مجتنبين كلّ شيء يضعفها .

ثم انّ الله يسرّهُ وحينئذٍ ان يُظهر ذاتهُ للنفس بـ
جواذبهِ بحيث انّ هذه النفس تتعجّب من الذ
يخافونهُ فتقترب هي منهُ بثقةٍ وتخاطبهُ بمودّةٍ مقد
ولا يكون موضوع كلامهما غير الحبّ *

وتكاد لا تفتكر في الحقائق المخيفة كالمو
والدينونة والجحيم واذا افتكرت فيها لا تشعر بتاثير
لانّ الحبّ قد اخذ مكان الخوف قياماً بهذا كـ
الرسول الحبيب : « ان المحبّة الكاملة تنفي الخو
الى خارج » *

واذا بقي فيها شيءٌ من الخوف فيكون خو
مقدّساً عفيفاً مثل خوف الاولاد من والديهم
كخوف العروسة من عروسها . فتخاف من الخط
لا ليكون الله هائلاً في نقمانهِ لكن لانهُ ابوها وحبيـ
وهو يغتاظ من الخطيّة . فتجتنب كلّ خطيّة
كلّ زلّةٍ ونقصٍ ولا تحبّ ان تعمل شيئاً من الشـ

ختيارها ومعرفتها التامّة *

٤ : فاذا اصابكِ ايّتها النفس خوف شديد
ديونة الله واحكامهِ المهولة وانتِ قد وهبتِ
كِ لله وتحبينهُ من كلّ قوّتكِ فاعلمي انّ هذا
ف صادرٌ امّا من الله وامّا من مخيلتكِ وامّا
الشيطان *

فاذا كان صادرًا من الله (وتعرفين ذلك
كان مقرونًا بالسلامة والراحة الباطنة) فاحتملي
المحنة بحُبٍّ *

واذا كان صادرًا من المخيّلة (وعلامة ذلك
ن والغم وضيق الخُلق) فلا تدعي التصوّرات
رّ فيك زمانًا طويلاً بل احتقريها واجتنبي
ما يُثيرها فيكِ *

واذا كان صادرًا من الشيطان (وتعرفين
ك اذا كان يسوقكِ الى قطع الرجاء والقلق

والاضطراب) فينبغي لكِ ان تجدّدي ثقتكِ ب
وتلقي بذاتكِ بين ذراعيهِ تعالى وتفوّضي اليهِ ام
وتسأليهِ ان يمجّد اسمهُ بهذه تجربتكِ باستخدامهِ ا
لتمكين حبهِ الطاهر منكِ . لانّ الله لا يسمح
التجربة الّا لكي يسوق النفس الى ان تحبهُ باء
طهر ويجرّدها من بواقي حبّ الذات ويحملها
ان تكفر بأخفى شيءٍ فيها *

واذا تمّت هذه ارادة الله في النفس ف
تستهد حينئذٍ راحتها ويدبر عنها الشيطان مغل
مذعورًا . ويرسخ فيها حب الله رسوخًا مكينًا . فه
يجب على النفس ان تتصرّف في الخوف الذ
يعتريها لكي تتكمّل بواسطتهِ في حبّ الله الاعظ

الفصل الثامن **

في الامانة في القليل

الامين في القليل يكون امينًا في الكثير »

(لوقا ١٦ : ١٠)

ليس عند الله شيءٌ صغيرًا او كبيرًا حقيرًا
رفيعًا. بل كلّ ما يريك الله فذاك هو الكبير وان
لك حقيرًا صغيرًا *

إن رجعت جماهير من الخطاة الى التوبة
فًا لارادة الله فعملك هذا العظيم في عينيك
اعين الناس ليس لهُ قيمةٌ في عيني الله .
عكس اذا اكلت او شربت او كنست او طبخت
عملت غير ذلك من الاعمال الحقيرة في اعين
س طاعةً لارادة الله فاعمالك تلك تكون
رها ذات استحقاق جزيل في السماوات *

انّ الله يعلّق نعمهُ باشياء نسرّه فكثيرًا
يتفق انّ العمل الفلاني الذي نستصغرهُ ونحتـ
نحن يكون هو علّة قداستنا وخلاصنا ولذا قـ
الكتاب : « من لا يلتفت الى الاشياء الصغـ
يسقط شيئًا فشيئًا » *

انّ الاشياء العظيمة وافعال الفضيلة الشـ
نادرة الحدوث واذا اردنا ان ننتظر حدوثها لنُظـ
بها حبّنا لله فربّما لا نتمكّن من ذلك مدّة حيـ
كلّها بيد انّ الاشياء الصغيرة كثيرة الحدو
ويُمكننا كلّ حين ان نُظهر بها حبّنا لله وخضوعنا
ثمّ انّ الاشياء العظيمة تقتضي شجاعةً عظـ
ايضًا فكيف نقدر ان نركن الى قوانا اذا لم
قد اختبرناها في الاشياء الصغيرة *

ان الاشياء الجليلة تقتضي نعمًا مناسبةً لها فكـ
يُعطينا الله هذه النعم اذا كنّا غير امينين في القليـ

وفضلاً عن ذلك ان التواضع يفرض علينا
تنظر الاشياء العظيمة فوق طاقتنا ولا نطلبها
تلقاء انفسنا بل نكتفي بالاشياء القليلة الصغيرة
ون امينين فيها . واذ ذاك يعمل الله فينا
ياء الكبيرة اذا احب ذلك عند سنوح الفرصة *
٢ : انّ الامانة في القليل هي اعظم واصعب
طنّ ونقتضي كثيراً من الثبات والشجاعة والسخاء
انها قائمة بهذا ان نموت كلّ حين عن ذواتنا
ع عامل النعمة في كلّ شيء ونجتنب كلّ فكر
رق وكلمةٍ وعملٍ يغيظ الله ولو قليلاً . ونعمل
شيء بكلّ الكمال الذي يطلبهُ الله منّا ولا
ق اهواء الطبيعة في شيء بتّةً وذلك لا يوماً
يومين او ثلاثة بل مدّة حياتنا كلّها . فيقيناً انّ
ا لعملٌ لا عملَ اعظم منهُ *
وللاعمال الصغيرة فضلٌ على الكبيرة من

حيث انّ هذه تسوق الى الكبرياء وتلك نسا
على التواضع *

فمن كان اذن امينًا في القليل يستعطف
اليهِ فيفيض عليهِ احساناتهِ ونعمهُ ويكنز لهُ
دين كنوزًا في السمآء ويتاهب للاعمال الجليلة *

الفصل التاسع **

في المنفعة التي يجب علينا ان نجنيها من زلاّتنا

قال بولس الرسول : « ونحن نعلم انّ الذين
يحبّون الله كلّ شيء يعاونهم للخير »
(رومية ٨ : ٢٨)

اننا ان كنّا نحبّ الله ونبغض الخطيّة
فكلّ شيء ينفعنا حتى خطايانا التي انما يسمح
الله لغايات مقدّسة كمعرفة ذواتنا وشفائنا

ـيائنا وازدياد اتكالنا عليهِ تعالى وتاجيج حبّنا
ـرنا لهُ بعد نوالنا من مراحمهِ الغفران منها *
فلا ينبغي لمحبي الله الحقيقيّين ان يتعجّبوا من
ـام او يقلقوا من جرّائها او يخجلوا او يفشلوا
ـ كلها اشياء ناتجة عن حبّ الذات وتضرّهم
ـر من الخطية نفسها *
اذا اردنا ان نتعجّب فلنتعجّبنّ من كوننا لا
ـط كلّ حين في خطايا مميتة جسيمة. لنتعجّبنّ
رحمة الله نحونا ومن حبهِ الشديد لنا وعوض
نقضي ساعات برمتها مفتكرين كيف اخطانا
ـطانا. لنصرفها بالاحرى في استغفار الله والتذلل
ـة وتادية الشكر لهُ وتجديد مقاصدنا واستئناف
ـرنا باعظم نشاط واشدّ اتكال عليهِ تعالى. ولا
نفتكر في خطيتنا الّا حين فحص ضميرنا عنها
ـرافنا بها. واذ ذاك ينبغي لنا ايضاً ان نصرف

وقتنا في اعادة ما ذكرناه من افعال الاستغ
والتذلّل والشكر والبقيّة *

٢ : انّ داود النبي استفاد كثيرًا من خطا
اذ قال بعد سقوطهِ : « خيرٌ لي اني تذلّلت
انعلم حقوقك » (مز ١١٨ : ٧١) *

وبطرس هامة الرسل استفاد ايضًا من نكر
المسيح ثلاث مرّات اذ اخذ يبكي خطيئتهُ ه
ويتذلّل امام الرب حتّى استحقّ لتواضعهِ البليغ
يقبل الروح ويكون رئيس الرسل ويسلم
اخطار مقامهِ الرفيع *

وبولس رسول الامم استفاد من خط
الماضية اذ كان يقاوم بها روح الكبرياء الث
عليهِ بسبب نجاحهِ في بشارة الانجيل ومو
الجليلة وارتفاعهِ الى السماء الثالثة *

فلا تحزن اذن من هفواتٍ وزلّاتٍ وعثر

ـك عدوًا في طريق السماء *

٢ : ان الله كثيرًا ما يترك في اعظم القديسين
ـب نقائص لا يستطيعون ان يصطلحوا منها مع
ـِّ اجتهادهم وذلك لكي يجعلهم يشعرون بضعفهم
يصيرون اليهِ بدون نعمتهِ تعالى ولكي يمنعهم
الاستكبار بمنحهِ ويوهبهم لقبولها بابلغ تواضع
ـجملة لكي يجعلهم يحتقرون ذواتهم ويقيهم من
ـخ محبة الذات وغير ذلك من الخيرات *

اذا ابتعد الطفل من امهِ فسقط يعود اليها
ـرٍ اعظم لكي يُشفى من المهِ ويعزم بلسان حالهِ
لا يعود يترك امهُ ثانيةً وما عاينهُ من ضعفهِ
ـف امهِ في قبولها اياهُ يزيدهُ تعلقًا بها وحبًّا لها *

انَّ زلاَّتنا تكون لنا غالبًا فرصًا لممارسة اجلّ
ـضائل فيسمح الله مثلاً بان نزلَّ في التواضع
في الصبر او في فضيلة اخرى لكي نمارس تلك

الفضائل عينها التي زللنا فيها ونعوّض هكذا بانتب
تام وارادة كاملة ما صدر منّا عن غير انتب
وارادة ولا ريب ان المسرّة التي تصيب الله م
هذا عملنا الصالح تفوق جدًّا الاساءة التي لحق
من زلّتنا وتقصيرنا *

وقد يسمح الله ايضاً بزلّاتنا ونقائصنا لك
يخفي قداستنا عن اعيننا واعين الناس ويعرض
للاهانات الكثيرة الفوائد *

٤ : لندع الله يعمل ما يشاء اذ انهُ يعر
ما يفيدنا ويصلح لتقدّمنا اليهِ . لنقصد نحن ان
نهينهُ ابدًا ونصطلح من رذائلنا جهدنا واذا اخط
مع ذلك فلنُسِئْنا اهانتهُ لا غير ولنسالهُ ان يُبد
خطيّتنا هذه بما يعود الى منفعتنا ومجدهِ فنتقد
هكذا احسن تقدّم ونسلم من غوائل محبّة الذا
وشرور الكبرياء *

اذا طلب الله منك عمل شيء فلا تمتنع منهُ
ة ان تزلّ في عملهِ لانّ عمل الخير مع بعض
صان خيرٌ من اهمالهِ بالتمام . فلا تهمل مثلاً
فاً لازماً خوفاً من الاحتداد حين عملهِ ولا
نب مصاحبة اشخاص يثقّلون عليك ويسبّبون
الضجر والاّ فكيف تكتسب الفضائل ان
نبت الفُرص المساعدة عليها *
انّ اجتناب هذه الفرص لشرّ اعظم من الشرّ
ي يمكن وجوده في انتهازها فلتكن اذن نيّتنا
ة ولنذهبنّ حيث تدعونا واجباتنا معتقدين
الله سوف يرحمنا ويغفر لنا زلاّتنا ويعوّض
تقصيراتنا التي تفرط منّا في طلبنا مسرّتهُ
ى وتتميمنا ارادتهُ المقدّسة *

الفصل العاشر **

في كيفيّة سلوكنا في التجارب

قال الملاك رافائيل لطوبيّا : « اذ كنتَ مقبولاً
امام الله كان لا بدَّ ان تُمتحن بتجربةٍ »
(طوبيا ١٢ : ١٣)

انّ تجارب النفس العابدة كثيرة متنوّعة فتا
يسعى الشيطان بان يبعدها عن المائدة المقد
بحجّة انّها غير مستحقّة التناول او انّها لا تستف
من تناولاتها . فينبغي اذ ذاك للنفس ان تحت
هذه تصوّرات الشيطان وتداوم على التناول و
انّها لا تشعر بفوائده *

وتارةً يجتهد ابليس بان يسوق النفس الى تر
الصلوة العقليّة او تبديلها بالتأمّل وذلك خاصةً
يشاهدها يابسةً في صلواتها العقليّة تحدق بها الافك

تة من كلّ جانب فيجب حينئذٍ على النفس
لا تلتفت الى وساوس العدو وتعتقد انّ غاية
لوة العقلية هي موت المحبّة الذاتيّة وهذا الموت
صيبها الّا وقتما تكون يابسة لا تشعر بحلاوة
سلية *

ثم انّ الشيطان قد يجرّب ايضًا النفس بعدم
ة بمرشدها لكي لا تجد في اقوالهِ ونصائحهِ التسلية
قوية اللتين تحتاج اليهما . فيجعلها تشك في صحة
حهِ لها او غير ذلك فينبغي وقتئذٍ للنفس ان
ع مرشدها في كل شيء كطاعتها لله سيما اذا
ن مرشدها صالحًا عالمًا خبيرًا في الروحانيّات
لك بموجب روح الله ومشورتهِ *

ان الله لا يدع مرشدًا هذه صفاته يغلط في
ير نفسٍ تنظر فيهِ الله نفسهُ وتطيعهُ بهذا النظر
كل شيء رغبةً في خلاصها ومسرّة عروسها

يسوع . واذا فرط منهُ مع ذالك بعض غلطات
فلا يتركها الرب زمانًا طويلاً بدون تصحيح *
٢: واقول الان خاصةً للمبتلين بتجربة الوسواس
ان يتمسكوا كلَّ التمسُّك بعروة الطاعة لمرشد
ويجعلوا كلَّ راحتهم وتسليتهم في هذه الطاعة .
انهُ لا طريق آمن لهم من الطاعة لمرشدهم الذي يجب
عليهم ان يعتبروه اعتبارهم للملاكِ ارسلهُ الله لهم
صنع مع طوبيّا الصغير ليرشدهم في طريق الس
ويقضي لهم حاجاتهم وينشلهم من اخطار الدرب
ان التلميذ لا يُعطي جوابًا عن الاشياء ال
يعملها طاعةً لمرشدهِ وكيف يواخذهُ الله عن اشي
عملها طاعةً لهُ جلَّ اسمهُ فليتحقق اذن ان كلَّ
يعملهُ من باب الطاعة يُرضي بهِ الله ويسرّه اكث
جدًّا من الاشياءَ التي يعملها من تلقاءِ ذاتهِ او براي
نفسهِ خلافًا لأمر مرشدهِ *

فاذا تناول مثلاً طاعةً لمرشدهِ وهو يرى ذاته
اهل للتناول لبعض نقائص وجدها فيهِ او
ض زلاتٍ فرطت منهُ . فانهُ يرضي الله بهذا
اول ويستفيد منهُ اكثر جدًّا من التناول الذي
يامرهُ بهِ مرشدهِ ويعملهُ لمجرّد شوقهِ اليهِ او علمهِ
م وجود ما يمنعهُ منهُ *

فيا ما اعظم التسلية التي يجدها الوسواسي في
عتهِ لمرشدهِ لعمري انهُ يقدر ان ينام ويستريح
سكون وطمانينة ويدع المسؤولية لمرشدهِ الذي
يجيب هو عنهُ وعن ذاتهِ *

٢ : اما تجارب النفوس المتقدّمة في العبادة
من نوع آخر بل هي محنٌ لا تجارب فتُمتحن
ا بافكارٍ ضدّ العفّة والايمان والرجاء والمحبة
يرًا ما تظنّ انها قد قبلت هذه الافكار فتحزن
ق وتضطرب والحال انها لم تقبلها لخوفها نفسهِ

من قبولها . لانهُ طالما تخاف النفس من قبو
تلك الافكار فخوفها هذا يدل على كراهتها
وطالما تكرهها وتانف منها فهي بعيدة عن قبولها

واحسن دواء للنفس في حالتها هذه هو
تُطلع مرشدها ببساطة على كلّ ما يحدث في باط
وتعتمد على حكمهِ بدون مجادلة وتطيعهُ بغير مجاوب

وفضلاً عمّا تقدّم اليكِ يا نفساً عابدةً بعض
قواعد ينبغي لكِ العمل بها قبل التجربة وحـ
التجربة وبعد التجربة *

فقبل التجربة لا ينبغي لكِ ان تخافي منها
تفتكري فيها بل القي بذاتكِ بين ذراعي الله مرد
في بالك هذا كلام الرسول : « انّ الله امينٌ
يدعكم تُجرَّبون فوق طاقتكم بل يجعل مع التج
مخرجاً لتستطيعوا ان تحتملوا » (١ قورنثية ١٠ : ١٣

وحين التجربة ينبغي لكِ ان تتركيها تمرُّ

ود من دون ان تتركي شيئًا من عبادتكِ او
دي عن الهلكِ « قاوموا ابليس فيهرب منكم »
عقوب ٤ : ٧) *

واذا انتهت التجربة تمتعي بالراحة التي تتركها
من دون فحص عن اذعانكِ لها او رفضكِ
ا دعي الحكم في ذلك لمرشدكِ وهو يطمئنكِ
اقتضى الامر بموجب تقريركِ له العاري عن
يادة والنُقصان *

فاذا استمرَّيتِ وقت التجربة امينة في رياضاتكِ
تِ طائعةً وضيعةً متاهبةً للكفران بذاتكِ
كنكِ وقتئذٍ ان تفرحي وتفتخري بالرب الذي
ركِ واخرج من الفخ رجليكِ *

الفصل الحادي عشر **

في ذكر الموت

ان الخطاة يفزعون من ذكر الموت ويجتنبو
كلّ ما يذكّرهم بهِ ومن يعبد الله ويطلب ذ
في عبادتهِ هذه يخاف ايضاً من ذكر الموت .
النفوس الباطنة التي قد فوّضت الى الله امر
وتفرّغت لخدمتهِ تعالى بنيّة طاهرة فتستعذ
ذكر الموت وتتسلّى بهِ *

انّ النفوس الباطنة تنظر في الموت نه
شرورها وتجاربها ومحنها وبداية سعادتها وغبط
واتّحادها الأبدي بخيرها الوحيد الاعظم . ول
تتوق اليهِ ولا تخافهُ . وكيف لا تستطيب ذك
وكنزها في السماء وليس في قلبها ميلٌ الى شي
من خيرات الارض الزائلة *

انّ ذكر خطاياها الماضية لا يقلقها ولا يُخيفها لانّها
زمنٍ مديد نقمت هذه الخطايا وتندم عليها وقد
ا في حضن الرحمة الالهيّة وتذكر انّ دياناتها
ب بكون يسوع المسيح ولذا تخاطب ذاتها قائلة :
• ما لي اخاف ممّن قد عظّم الصنيع معي وكثّر
مانانهِ اليّ وحفظني من الخطيّة وانقذني منها
جذبني اليهِ في الحيوة واعطاني ان احبّهُ اكثر
ذاتي وذلك الى آخر نفس من حياتي *
ومن المحقّق انّ النفوس باطنيًّا لا تشتغل
كر الموت الّا قليلاً لانّ الله يوجّه فكرها الى
ائق هي اجدر بتقدّمها الروحي من الموت . ولمّا
ن الخوف من الموت يصدر عادةً من المخيّلة
ن كراهيتهِ الطبيعيّة فكلّما ضعفت المخيّلة وتجرّد
سان من جسدهِ يفقد مخافةُ السابقة من الموت
تاد ان يرى الموت كما يريد الله ان نراهُ او كما

يراهُ هو بنفسهِ . فسبحانهُ وتعالى لا يريد انّ ذكر
الموت يفزع نفساً قد خصصت ذاتها لهُ . وا
كان الله يرى الموت كما نراهُ نحن او يكرههُ قد
ما نكرههُ نحن لمَا كان هو الغير المائت بطب
الالهي يخضع لهُ بطبعهِ البشري *

اجل لو لم يكن لنا رجآء بحياة الابد وقيا
الاجساد لكان حقّ لنا الحزن والبكآء والنحي
ولكن ما دام « المسيح يسوع قد ابطل الموت بمو
وانار الحيوة بقيامتهِ » (٢ تيمو ١ : ١٠) فلا يسو
لنا بعدئذٍ انْ « نحزن على الراقدين كباقي الناس
الذين لا رجآء لهم » (١ تسالونيقي ٤ : ١٣) *

« قال الرب يسوع : انا القيامة والحيوة م
آمن بي وان مات فسيحيا وكلّ من كان حيّاً وآم
بي فلن يموت الى الابد » (يوحنا ١١ : ٢٥) *

٢ : ولعلكِ تقولين ايتها النفس : اني لا احز

الفقيد لانهُ مات لكن لاني اجهل هل خلص
هلك . فأُجيبك انّ امر خلاص نفسٍ او هلاكها
يعنيكِ فضلاً عن انّ حزنكِ لا يخلّص الميت
كان هالكًا ولا يهلكهُ ان كان خالصًا . ففوّضي
ا الامر لمن يعنيهِ خلاص النفوس اكثر منكِ
نّي انتِ بخلاص نفسكِ لا غير *

وربّما تقولين ايضًا : اني احزن واخاف من
ت لاني لا اعلم هل اموت انا ميتة الابرار او
ة الاشرار . وكم من الذين قد غلبهم الشيطان
ساعة الموت وكانوا قد عاشوا في الصلاح
تقوى *

فأُجيبكِ بادئ بدء قائلاً : انّ خوفكِ
زنكِ من الموت لا يوهّبانكِ الى ميتة صالحة
لاً عن انهما يمنعان ورود النعمة اليكِ لِما في
فكِ وحزنكِ من التنكّر والتحذّر من جودة الله

ورحمتهِ الفائقتين او لما فيهما من محبّة الذات وتعلق
القلب بالأهل والاصدقاء والارضيات وغير ذلك
من النقائص والشوائب *

ثمّ انكِ ان كنتِ ترغبين في ميتة الابرا
والقدّيسين فسيري سيرتهم واقتدي بامثالهم . فانه
لم يستعدّوا الموت بالخوف والحزن منهُ بل بحفظ
الوصايا وثباتهم في محبّة الله ومواظبتهم على الصلو
والتأمّل وقبولهم الاسرار بتواتر واصلاح ذواتهم م
من الرذائل والاجتهاد في اكتساب الفضائل ولاسي
الاتكال على الله واحتقار ذواتهم وسائر خيرات
الارض . فاسلكي اذن سلوكهم تموتي ميتتهم لانك
مثلما تعيشين هكذا تموتين *

ومن المحال ان يترك الله في ساعة المو
انساناً لم يتركهُ مدّة حياتهِ كلّها وكيف يمكنهُ ذلك
وهو الذي مات لاجل خلاصنا ولا يريد هلا

ـ وليس من عادتهِ أن يترك احدًا ان لم يتركهُ
اوّلًا *

امّا من جهة الاخبار التي تسمعينها عن اناسٍ
ـوا في الصلاح ثم ماتوا ميتةً رديّة فلا ينبغي
ـ ان تتخذي هذه الاخبار سببًا للحزن والخوف بل
ـذيها بالأحرى سببًا لتزيدي اتكالكِ على الله
ـجتنابكِ الكبرياء والاعجاب والاعتماد على ذاتكِ.
لهذهِ الغاية فقط قد وُضعت في الكتب
ـوحية *

هذا وان السبب الأعظم لسقوط بعض من
ـ التُقى هو تغافلهم عن اصلاح رذائلهم واكتفاؤهم
ـادة ظاهرة. فحين تثب عليهم تلك الرذائل
ـبر المائتة سيمّا في ساعة الموت وتجدهم ضعفاء
ـصرين عن مقاومتها تقوى عليهم وتطرحهم الى
ـقل *

« فتعزّي يا نفس بهذا الكلام » (١ تسالو٤: ١٧
والقي عنكِ كلّ خوف وحزن باجتهادكِ البل
في تنقية نفسكِ من رذائلها وعبادتكِ من شوائ
وسيري آمنةً *

٢: ان عدم الخوف من الموت نعمةٌ لا يُعط
الله الاّ للنفس التي قد فوّضت اليهِ تعالى
عوائدها الزمنيّة والابديّة ولا تعود تلتفت الى ذا
بل تهتمّ بشيءٍ واحد وهو تكميل ارادة الله كلّ حين
فمتى نسينا هكذا انفسنا في الله لا نعود نخشى المو
ولا نحزن منهُ ابدًا *

فمتى خصّصت النفس ذاتها لله وتمكّن الله م
لا تلتزم ايضاً بالاكثار من ذكر الموت واط
الفكر بهِ لانّ ذلك لا يفيدها ولا يزيدها نق
من الله فالاولى بها اذ ذاك ان تتبع نعمة الر
وروحهِ القدّوس لا غير. واذا اتاها فكر المو

صلواتها او قراءاتها فلتعلم ان الله لا يدعوها
الاشتغال بهِ فلا ينبغي لها اذن ان تخالف
ة الله وتغتذي بفكرٍ لا يفيدها ولا ينفعها في
ضر *
انّ الافكار التي تفيدها ويطلب الله منها ان
غل بها هي هذه : محبّة الله وخدمتهُ تعالى بسخاوة
بات في نعمتهِ والانتباه الدائم لاغتصاب طبيعتها
يان ذاتها *
اما ما كان من كيفيّة موتها او زمانهِ او عواقبهِ
وّض كلّ ذلك الى الله وهو يعمل *
يقيناً انّ من يستعدّ للموت بهذا الاسلوب
لهُ الله لمينة القدّيسين التي هي من اجلّ النعم
ضلها *

الفصل الثاني عشر **

في الصلوة الدائمة

قال الرب يسوع : « صلّوا ولا تملّوا » واضاف
بولس الرسول قائلاً : « صلّوا بلا فتور »
(١ تسالونيقي ٥ : ١٧)

انّ الصلوة الدائمة لا نقوم بصلوات لفظ
مما لا يمكننا عمله الّا بعض ساعات من النهار
غير . ولا نقوم ايضاً بالصلوة العقلية اذ انّ توج
الفكر الى الله على الدوام لامرٌ يفوق قوّة الانسان
فكيف يمكننا ان نصلّي دائماً . اننا نصلّي دائماً ا
كنا في كلّ حين متأهبين لنحبّ الله ونخضع لارادته في ك
حوادث الدنيا ونصغي الى صوت نعمته ونصمّ ع
اجتناب كلّ ما يهينه خفيفاً كان او جسيماً وا
فرط منّا بعض زلّات او خطايا نندم عليها وننهض

لنا متضعين *

هذه هي الصلوة الدائمة الحقيقية التي يمكننا ان
رسها كل حين بين اشغالنا واحاديثنا وتنزهاتنا
سها من دون ان نفتكر بالله كما قيل في المجلد
ول من هذه المنتخبات (وجه ٥٢) *

فليس اذن من الواجب ان نشعر باننا نصلي
يخطأ من يتصور انهُ لا يعمل شيئاً في صلاتهِ
عقلية او لا يُرضي الله فيها لعدم شعورهِ بشيءٍ من
افكار او العواطف او غير ذلك فيعزم على تركها .
الله « ينظر الى استعداد القلب » ولا يحتاج الى
والنا او افكارنا لمعرفة هذا الاستعداد *

سُئل القديس انطونيوس ذات يوم وقيل لهُ :
ي صلوة هي احسن . فاجاب قائلاً : انَّ احسن
صلوات هي التي لا نشعر بها عند ممارستنا اياها
نها تكون منزهة عن حبّ الذات سالمةً من فسادهِ *

٢ : انّ اجلّ الوسائط التي تساعدنا على الصلو
الدائمة هي هذه : اوّلاً ينبغي لنا ان نتحقّق ان صلات
تكون افضل واشهى لدى الله وانفع لنا كلّما قل
شعورنا بها *

ثانياً : ينبغي لنا ان نجتنب الالتفات الى ذواتن
لننظر ونعرف ما يحدث فينا لانهُ كلّما ضعف انعطاف
هذا الى ذواتنا وقلّ علمنا بنعمة الله فينا نزداد تقرّ
منهُ تعالى إن داومنا على تناولاتنا وقراءاتنا وتاملاتن
وسائر رياضاتنا واعمالنا الصالحة كالاوّل *

ثالثاً : ينبغي لنا ان نقاوم بشدّة الافكار التي
توهمنا انّ الوقت الذي نصرفهُ في العبادة ضائع
لاننا لا نحسّ بمنافع تناولاتنا وقراءاتنا وتاملاتنا وانن
نمارس هذه الرياضات بيبوسة وكراهية . فهذ
الافكار تاتينا من الشيطان او من محبّة الذات او
من الطبيعة التي لا تزال ترغب في التسليات

ستصعب تاديبات الرب *

ان القداسة هي عمل الله * فلا يستطيع
نسان مهما همّ ان يزيد ذراعًا واحدةً على قامتهِ *
دعن اذن الله يعمل فينا القداسة التي يريدها
ولا نحاولنّ ان نطّلع على اعمالهِ طالما يريد ان
يها عنّا *

رابعًا : ينبغي لنا على الخصوص ان نجتنب
لية الخلائق عندما يحرمنا الرب تسلياتهِ ونرتضي
نكون محرومين ايضًا من سائر الافراح التي
منا النعمة باجتنابها *

فاذا عملنا بهذا الاسلوب نخطو بامن وسلامة
خطوة الصُّعبى في السيرة الروحيّة ونتأهّب لمحَن
يدنا طُهرًا اذا وافق الرب ان يبتلينا بها. واذا
ينا هكذا ليس فقط عن العالم وخيراتهِ بل عن
بتنا لذاتنا خاصّةً وعن كل تسلية روحيّة اراد

الله ان يحرمنا منها في هذا العالم يقيمنا بعدئذٍ من
هذا الموت الروحي ويجعلنا نحظى ونحن بعدُ على
الارض بشيءٍ من افراح السماء *

« ان حبة الحنطة إِن لم تقع في الارض وتمُت
بقيت وحدها وان هي ماتت انت بثمارٍ كثيرة »

الفصل الثالث عشر **

في الاستراحة في الله

« تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وانا اريحكم »
(متى ١١ : ٨)

يا نفسي انكِ لا تجدين راحتكِ الاّ في الله
سبحانهُ. فلا تجدينها في خيرات الارض وافراحها
اذ انّ هذه الخيرات سريعة الزوال ليس علاقة
بينها وبين قلب الانسان المصنوع لله *

ولا تجدينها ايضاً في ذاتكِ لانكِ قاصرة عن
عوزكِ . فاذا كنتِ وحدكِ ثقلَ الضجر عليكِ
ا كنتِ في صحبة احسن الناس وافضلهم فلا
بين ان تسأمي احاديثهم ومعاشرتهم . واذا انستِ
لاً بالدرس والقراءة يحملكِ التعب بعد قليل
الزمان على تركها خلواً من شبع واكتفاء *
فتحققي اذن يا نفسي انكِ لا تجدين راحتكِ الاّ
الله خالقكِ ومبدعكِ ولذا كان مار اوغسطينوس
ف قائلاً : « الهي انك قد صنعتنا لاجلك فلا
ل قلبنا في قلق واضطراب حتّى يجدك ويستريح
ك » *

ولكن ما العمل لنستريح في الله . انّ الطريق
دية الى هذه الاستراحة هي استيداع الانسان
ه وكلّ اموره ان روحيّة وان زمنيّة بين يدي
خالقهِ وخضوعهُ لارادتهِ تعالى في كلّ حوادث

الدنيا سواء كانت هذه الحوادث تعنيهِ او تعن
غيرهُ *

انما طالما لا نريد كل ما يريدهُ الله لا يمكن
البتة ان نستريح فيهِ ونذوق حلاوة هذه الراح
وطالما لا نستودعهُ كلّ امورنا ايًّا كانت فلا نزال
قلقين بعيدين عن الراحة الحقيقية *

٢ : ماذا تظنّين يا نفسي امِن الممكن ان يري
لك الشر مَن خلقكِ على صورتهِ وافتداكِ بد
ووعدكِ بملكوتهِ السماوي وكيف تتصوّرين ا
يطرحكِ اذا اردت ان تلقي بذاتكِ بين ذراعيهِ وه
الذي طلبكِ ودعاكِ اليهِ وخوّلكِ كلّ ما لكِ م
الرغائب الصالحة « لستم انتم اخترتموني بل ا
اخترتكم *

فبعد أن تكوني قد طهّرتِ ضميركِ باعتراف
عام واتخذت الوسائط لاجتناب كل خطيّة و

ضية وصمتِ على الاذعان لنعمة الله والطاعة
شدكِ في كلّ شيء ينبغي لكِ ان تطرحي عنكِ
لّ خوف واضطراب واهتمام وتستودعي يسوع
تكِ بكليتها خاضعة لهُ في كلّ شيء *

واذ ذاك يمكنكِ ان تستريحي في الله وتنتعي
سلامة اعظم من ان توصف وسلامتكِ هذه تدوم
لكِ ما دام الله الهًا ولا تستطيع المحن والاشغال
شاقة وسائر الشرور ان تزعزعها ان لم تزدها
سوخًا وثباتًا *

انّ الاحزان لا تصيب الانسان الّا لانهُ يريد
يئًا فيحدث لهُ ما هو خلاف ذلك الشيء. فاذا
حبَّ الحيوة . فالموت ضدّها فيحزن منهُ . او احبَّ
صحة والعافية . فالمرض ضدّها فيحزن منهُ . او
حبَّ الغنى والمدحة والشرف والكرامة . فالفقرُ
الذلُّ والاحتقار والافتراء ضدّها فيحزن منها . او

احبَّ غير ذلك من خيرات الارض وافراح الجسد
فشرور الدنيا ضدّها فيحزن منها *

اما من كفر بارادتهِ وخضع لارادة الله في كـ
شيء مستودعًا اياهُ ذاتهُ بكليتها فلا يحزن من شي
ولا يتأسف على شيء وكيف يمكنهُ ان يحزن او يتاسّف
على شيء يريدهُ الله . وهو يعلم حق العلم انّ كلّ
يريدهُ الله فذاك هو الاحسن والافضل لما والانجـ
لهُ . واذا تراهُ كلّ حين متنعمًا براحة بالٍ وسلا
قلب يجلاّن عن الوصف لا يدركهما غير الذ
يشعر بهما *

فبكلّ صواب اذن قال داود النبي في احـ
مزاميرهِ : « سلام جزيل على الذين يحبّون شريعتك
(مزمور ١١٨ : ١٦٥) *

فهرست المجلد الرابع

كتاب الرياضات الروحيّة

كتاب

المنتخبات الكنيسية

في السيرة القدسيّة

المجلد الرابع

طُبع في الموصل

في دير الآباء الدومنيكيين

سنة ١٩٠٣